

المُنْفِرَجَاتُ

المنفِرجة الأولى

شعر

يوسف بن محمد التوزري (ابن النخوي)
(٤٣٤ - ٥١٣ هـ)

شرح

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري
(٨٢٤ - ٩٢٦ هـ)

المنفِرجة الثانية

شعر

حجة الإسلام أبي حامد الغزالي
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

دراسة.. وتقديم

الدكتور عبد المحيد ويب

دار الفضيحة

دار الفضيحة

للنشر والتوزيع والمصدير

الإدارة، القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف الفاضل، كلية البنات.
مصر الجديدة، ت. فاكس، ٤١٨٩٦٦٥ - رقم بريدي، ١١٣٤١ هليوبوليس.
للكتابة، ٧ شارع الجمهورية، عابدين - القاهرة، ت. ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات، دبي - ديرة - ص.ب. ١٥٧٦٥، ت. ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٢٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية،

دار الإحصاء

للطباعة والنشر والتوزيع

الرئيسي محمد التويج

35 - 33 الشارع الملكي (الأحياس) - الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39

جميع الحقوق محفوظة للناسر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديمه

« المنفَرَجَة » قصيدتان مشهورتان في الاستغاثة والتوجه إلى الله في الشدائد ، والكروب ، والمحن ، وطلب الفرج ، والعفو ، والتجاة من الله تعالى ، والإلحاح في الطلب ، والقسم على الله بالمغفرة والرحمة من حرّ النار ، وعموم النفع .. ودعاءً وائتِهالاً إلى الله تعالى ، وحديث لوم ، وعتاب ، ونُضح للنفس . ودعوةً للاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وبآله وصحَابته .

وتتداخلُ بعضُ أبيات « المنفَرَجَتَيْنِ » في بعض . إذ القصيدتان رويهما واحد (جيميتان) وبحرهما واحد والأولى منهما مطلعها :

الشدة أودت بالمُهَجِ يارب فَعَجَّلْ بالفرج !

ومطلعُ الثانية :

اشتدّي أزمة تنفَرِجِي قَدْ آذَنَ لَيْسُكَ بِالْبَلَجِ

* * *

وقد نسبت القصيدتان إلى الإمام الغزالي ، ونسبت الثانية منهما إلى غير واحد غير صاحبها وغير الغزالي .

والتحقيقُ على أنّ قصيدة « المنفرجة » التي تستهلُّ بالمطلع :
اشتدّي أزيمة تنفرجى قد آذن ليلىك بالبَلَجِ
ليست للإمام الغزالي ولا لغيره .. ولكنها للتوزري . المعروف
بـ « بابن النحوي » .
وقد أكد ذلك كل من ترجموا للتوزري ، كما أكدّه شارحها الشيخ
زكريا الأنصاري .

* * *

أما القصيدة الأولى التي تستهلُّ بالمطلع :
الشدّة أودت بالمُهَجِ ياربّ فعجل بالفَرَجِ
فهي للإمام الغزالي .
والغزالي والتوزري كانا متعاصرين ، لكن الغزالي مشرقى ، والتوزري
مغربى .
توفى الغزالي سنة ٥٠٥ هـ ، وتوفى التوزري سنة ٥١٣ هـ .
والتوزري تتلمذ على « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي كما سترى ،
والراجح عندي أن (منفرجة) الغزالي هي التي قيلت أولاً . و(منفرجة)
التوزري هي التي قيلت بعدها .
لكن لأمرٍ ما شاعت الثانية وذاعت ، واشتهرت أكثر من الأولى ، وتعدد
شرحها .

ولهذا قدّمناها مع شرحها للشيخ زكريا الأنصاري داعين الله المثوبة .
فإن أصبنا فالحمد لله وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

١٤٢٠/٥/٦ هـ

١٩٩٩/٨/١٧ م

الشيخ زكريا الأنصاري

الأضواء البهجة

في إبراز دقائق المنفرجة

شرح

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

(٨٢٤ - ٩٢٦ هـ)

على القصيدة المشهورة بـ (المنفرجة)

للعارف بالله تعالى أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف

التوزري الأصل المعروف بـ (ابن النحوي)

(٤٣٤ - ٥١٣ هـ)

دراسة .. وتحقيق

الدكتور عبد الحميد ويب

يوسف بن محمد بن يوسف التوزري

ويكنى «أبو الفضل» .

مغربي ، توزريّ الأصل^(١) والمولد .

من قلعة بني حماد .. أخذ صحيح البخاري عن اللّخمي ، والمازري ،
وأبي زكريا الشقراطيسي ، وعبد الجليل الربعي .

وكان عارفاً بأصول الدّين والفقه ، له تأليف .. وأخذ عنه القاضي
أبو عمران . موسى بن حمّاد الصّنهاجي^(٢) .

وأقرأ النحو ، أخذه عنه أبو محمد عبد الله بن سليمان التاهرتي^(٣) .
وأبو عبد الله محمد بن الرمّامة . مفتي فاس ، والأخوين الفقيهين :
أبو بكر ومحمد خلف الله .

وكان من العُلَماء العاملين ، وعلى سنن الصّالحين ، مجاب الدّعوة ،
حاضراً مع الله في غالب أمره ، له اعتقاد تامّ بـ «إحياء» الغزالي .

ولما أفتى الفقهاء بحرق «الإحياء» فأحرق في صحن مراکش ، ووصل
كتاب السّلطان بذلك ، وتحليفُ النَّاسِ بَعْلَظِ اليَمِينِ أن ليسَ عندهم
«الإحياء» .. انتصر وكتب للسّلطان ، وأفتى بعدم لزوم تلك الأيمان .

ونسَخَ «الإحياء» ثلاثين جزءاً ، يقوم كل يوم في رمضان بنسخ جزء
قائلاً : وِدِدْتُ أَنِي لَمْ أَنْظِرْ فِي عَمْرِي سِوَاهُ^(٤) .

(١) توزر : مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير . (معجم البلدان ١/٨٩٢) .

(٢) راجع : ابن الأبار . تكملة الصلة ٧٤٠

(٣) البغية . الترجمة رقم ٢١٩٦

(٤) نيل الابتهاج .

قال القاضي أبو عبد الله بن علي بن حماد : « كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق عِلْمًا وَعَمَلًا » (١).

وكان معاصرًا للإمام الغزالي ، وإن كان قد توفّي بعده ببضعة سنين .

والتوزريّ هذا هو : يوسف بن محمد بن يوسف . ولد بمدينة توزر سنة ٤٣٤ هـ ، كما ذكر الشيخ محمد النيفر في كتابه « عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالمٍ أديب » وذكر نص المنفرجة معزوة إليه في ترجمته وإن جاء في « الأعلام » للزركلي ، و « معجم المؤلفين » لكحالة أن مولده سنة ٤٣٣ هـ ، كما جاء في « معجم المطبوعات » لسركيس أن مولده كان سنة ٤٥٣ هـ .

وكان التوزريّ من حفاظِ حديثِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، كما اشتهر بالفقه والتبحّر فيه ، وجمع إلى ذلك الزهادة في الدنيا ، والبُعد عن سؤال الناس ، والتعويل عليهم ، والاتجاه إلى الله تعالى ، والتعويل عليه في أمره كله .

وله شعر دُونَ بعضه في كتاب (نيل الابتهاج . للتنبكتي) منه :

أَصْبَحْتُ فِيمَنْ لَهُمْ دِينٌ بِلَا أَدَبٍ وَمَنْ لَهُ أَدَبٌ عَارٍ مِنَ الدِّينِ
أَصْبَحْتُ فِيهِمْ غَرِيبَ الشَّكْلِ مُنْفَرِدًا كَبَيْتِ حَسَّانٍ فِي دِيوَانِ سَحْنُونِ
وَرَوَى له الإمام السيوطي في « بغية الوعاة » (٢) ثلاثة أبيات من الشعر يقول فيها مخاطبًا بعض الرؤساء الأغنياء :

(١) راجع : نيل الابتهاج للتنبكتي (١ ، ٢ / ٦٢٢) طبع منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس سنة ١٣٩٨ هـ = ١٩٨٩ م .

(٢) الترجمة (رقم ٢١٩٦) في البغية .

عَطَاءُ ذِي الْعَرْشِ خَيْرٌ مِنْ عَطَائِكُمْ وَ سَيِّئُهُ وَاسِعٌ يُرْجَى وَ يُنْتَظَرُ
 أَنْتُمْ يَكْدُرُ مَا تُعْطُونَ مِنْكُمْ وَاللَّهُ يُعْطِي فَلَا مَنْ وَلَا كَدْرٌ
 لَا حُكْمَ إِلَّا لِمَنْ تَمَضَى مَشِيئَتُهُ وَفِي يَدَيْهِ عَلَى مَا شَاءَ الْقَدْرُ
 كما روى له صاحب « نيل الابتهاج » أبياتاً دالية في تضرعه إلى الله في
 تهجده يقول فيها (١):

لَبَسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا وَ قَمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجِدُ
 وَقَلْتُ : يَا سَيِّدِي يَا مَنْتَهَى أَمَلِي يَا مَنْ عَلَيْهِ بَكْشِفِ الضَّرِّ أَعْتَمِدُ
 أَشْكُو إِلَيْكَ أَمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا مَالِي عَلَى حَمْلِهَا صَبِيرٌ وَلَا جَلْدُ
 وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضَّرِّ مُشْتَكِيًا إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ

* * *

قال أبو العباس بن التعاويسي :

وتوفى بقلعة الحمادية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة (٢)، وقبره مشهور
 بها بالبركة . وذكرنا صاحبى الأعلام ومعجم المؤلفين لوفاته هذا التاريخ .
 أما صاحب معجم المطبوعات العربية فقد ذكر أنه توفى سنة ٥٤٣ هـ .

* * *

(١) ذكر هذه الأبيات - أيضًا - الشيخ محمد النيفر في كتابه (عنوان الأريب عما نشأ بالملكة
 التونسية من عالم أديب) .

(٢) وهذا ما ذكره الشيخ محمد النيفر أيضًا في المرجع السابق .

قصيدة المنفرجة

للتوزري

لعل نسبة قصيدة المنفرجة إلى الإمام .. أبي حامد الغزالي ، لا إلى قائلها الأصلي التوزري « ابن النحوى » جاءت من أثر المعاصرة الزمانية بين الرجلين ، ولو لم يكونا من أهل إقليم عربى واحد ، فقد كان التوزري من أعلام الشمال الإفريقيّ : تونس ، الجزائر ، ومراكش ، وليبيا ، فى عهد الطوائف فيها ، على حين كان الإمام الغزالي فى بغداد فى عصر السلاجقة .

على أن هناك سببا آخر قد حمل بعض الناس على أن يغرّزوا قصيدة « المنفرجة » إلى الغزاليّ ، بدلا من نسبتها إلى قائلها الأصلي : التوزري .. وهو ما كان من المشابهة فى العمل والعلم بين الغزالي والتوزري على اختلاف داريهما .

على أن هذه الموازنة بين الاثنين ، قد تكون من باب « التعصب الإقليمى » المحلى بين أقطار الوطن العربى الكبير . كما نجد ذلك فى الموازنة بين الشاعرين : ابن هانئ الأندلسى : شاعر المغرب .. وبين الشاعر أبى الطيب المتنبى شاعر المشرق . فقد كان أهل المغرب يتعصبون لابن هانئ ، وتمنّوا لو طال أجله حتى يفاخروا به أهل المشرق .

ولسنا الآن بمعرض الموازنة بين الغزالي والتوزري ، فليس تحت أيدينا مصنفات هذا ، على الرغم مما قيل من أن له مصنفات فلم أقف له فى دار الكتب المصرية إلا على :

١ - إنذار البهجة فى ظهور كنوز المنفرجة . مخطوط رقم ١٢٨٢
تصوف طلعت .

- ٢ - شرح القصيدة المنفرجة . مخطوط رقم ٤١٧٥٣ مجاميع .
 ٣ - تخميس : بانت سعاد ، لكعب بن زهير . مخطوط رقم ٦٤٦٨
 أدب .

* * *

يقول السبكي صاحب « طبقات الشافعية » : رأيت في كتاب « الغرّة اللائحة » لأبي عبد الله محمد بن علي التوزري ، المعروف بابن المصري : أن هذه القصيدة لأبي الفضل يوسف بن محمد النحوي التوزري . قال : وذلك أن بعض المتغلبين عدّا على أمواله وأخذها ، فبلغه ذلك ، وكان بغير مدينة توزر .. فأنشأها ، فرأى ذلك الرجل في نومه تلك الليلة رجلاً في يده حربةٌ وقال له : إن لم تردّ على فلان أمواله ، وإلا قتلتك بهذه الحربة ، فاستيقظ مذعوراً ، وأعادَ عليه أمواله .

« قلت (السبكي) : وكثيرٌ من الناس يعتقد أن هذه القصيدة مشتملة على الاسم الأعظم .. وأنه مادعاٌ بها أحدٌ إلا استجيب له »^(١) .
 « وكنتُ أسمعُ الشيخَ الوالدَ رحمه الله إذا أصابته أزمة ينشدها .

وقد شرحها طائفة من الأدباء والمتصوفة^(٢) ، وشرحها بالتركية الشيخ إسماعيل بن أحمد الأنقروى المولوى المتوفى سنة ١٠٤٢ هـ وسماه « الحكم المندرجة في شرح المنفرجة » .

وآخر من شرحها فضيلة الشيخ حسنين مخلوف . مفتى الديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء^(٣) .

(١) ذكر ذلك أيضاً صاحب كشف الظنون ١٣٤٦/٢ .

(٢) راجع شرحها في كشف الظنون .

(٣) هو المحدث الأصولي الشيخ حسنين محمد مخلوف ، أحد أقطاب جامع الأزهر ، عرف بالنسك والورع والعلم ، ولد يوم السبت سنة ١٣١١ هـ الموافق ١٨٩٠/٥/٦ م بباب الفتوح بالقاهرة وحصل على العالمية سنة ١٩١٤ م ، ومدرسة القضاء الشرعي ، وعين قاضياً شرعياً سنة ١٩١٦ م ، ثم عُين رئيساً لمحكمة الإسكندرية الشرعية سنة ١٩٤١ م ، وأخذ بمناصب القضاء حتى عين مفتياً لمصر =

وسمى شرحه : « شفاء الصدور الحرجة بشرح القصيدة المنفرجة » (١) .
قال في مقدمته : « المنفَرَجَة . من المنظومات المباركة التي تسترُوح
بها النفوس ، في طلب تفرّيج الكُرُوب ، وكشف الخطوب ، من علامِ
الغيوب ، ولذا سماها التاج السبكي « الفَرَجُ بعدَ الشدّة » وقال : إنها مجرّبة
لذلك .. ويستجاب بها الدعاء هنالك .

وكان يرُدُّها في الشّدائد العلامّة محمّد بن زكريّا الأنصاريّ ابن شيخ
الإسلام زكريّا الأنصاريّ رحمهما الله .

وقد تضمّنت من العقائِد والحقائِق ، والفوائِد والدقائق ، والفرائِد
والرفائِق ، ما به شَرُح الصّدور ، وصفاء القلوب ، وإزواء الغلّة ، وشفاء العِلّة ،
وبلوغ المقاصد ، من الأحوال السّنيّة ، والمقامات العليّة .

* * *

وشرحها كثيرون : منهم الإمام شيخ الإسلام . أبو يحيى زكريّا
الأنصاريّ السّنيكيّ المصريّ المتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة هـ شرحها
شرحا وافيا ، سماه « الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة .
وعنى فيه ببيان ما اشتملت عليه من المجازات والاستعارات والمحسنات
البيديّة ...

= سنة ١٩٤٥ م حتى عام ١٩٥٠ م ، وعين للمرة الثانية مفتيا لجمهورية مصر العربية من عام
١٩٥٢ م حتى عام ١٩٥٤ م . ووافته المنية في ١٥/٤/١٩٩٠

وشيعه خلق كثير يتقدمهم العلماء والوزراء ويتصدرهم شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق على جاد الحق
ومفتى جمهورية مصر العربية آنذاك الدكتور محمد سيد طنطاوي .

(١) ملتزم الطبع والنشر مكتبة ومطبعة الحلبي بمصر ، وقد طبعت عدة مرات آخرها سنة ١٩٦٦ م ،
كما طبعت على نفقة جمعية النهوض بالدعوة الإسلامية عدة مرات آخرها الطبعة الثالثة سنة ١٩٨١ م
مطبعة المدني .

« وقد كان لى عهدٌ منذ الصِّبا بهذه المنظومة المباركة ، فبدأ لى فى إبان الشيخوخة أن أجدد العهدَ بها . فقرأتها ... ثم عن لى أن أشرحها شرحًا لطيفًا ، مختصرًا واضحًا لا تعرّض فيه للمباحث البيانية ولا للمحسنات البديعية ، ولا للمعانى الإشارية .. وأكملته فى شهر صفر سنة ١٣٨٥ هـ (١) خمس وثمانية وثلاث مائة وألف » اهـ .

* * *

والقارئ لهذا الشرح يرى أن الشيخ حسنين مخلوف استفاد بشرح سابقه الشيخ زكريا الأنصارى .

وبالتالى فقد رأيت ألا أحرم القارئ رأى شيخ فاضل مثل الشيخ حسنين مخلوف فذكرت ما يراه ، موضوعًا تحت العلامة (*) .

والقصيدة محققة بمعرفة الشيخ زكريا الأنصارى شارحها ، فقد راجعها على أكثر من نسخة فكان يقول : « وفى نسخة كذا » ، وفى « نسخة كذا » وشرحها شرحًا وافيًا شافيًا عنى فى شرحها ببيان ما اشتملت عليه من علوم البديع كالمقابلة ، والطباق ، وحسن التعليل ، وبراعة المطلع وغير ذلك الكثير .

* * *

(١) الموافق ١٩٦٥ م .

شيخ الإسلام زكريا الأنصاري

زكريا بن محمد بن أحمد^(١) بن زكريا الأنصاري ، الشنيطي ، القاهري ،
الأزهري ، الشافعي .

يلقب « زين الدين » ، ويكنى « أبو يحيى » .

يذكره صاحب بدائع الزهور قائلاً : « شيخ الإسلام والمسلمين ، مفتي
الأنام في العالمين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف ، عالم الوجود على
الإطلاق ، وذكوره قد شاع في الآفاق ، فهو آخر علماء الشافعية ، بالديار
المصريّة ، انتهت إليه رئاسة الشافعية » .

وكان مولده سنة أربع وعشرين وثمانمائة^(٢) ، ومات يوم الأربعاء ثالث
شهر ذي الحجة .

(١) رواية بدائع الزهور : « زكريا بن محمد بن محمد بن زكريا الأنصاري » ، والمذكور هو
ما ذكرته سائر المصادر .

(٢) في البدر الطالع ، وفي الشذرات ، ومعجم المؤلفين : أنه ولد سنة ٨٢٦ هـ وتوفي سنة ٩٢٥ هـ
وفي بدائع الزهور ونظم العقيان ولد سنة ٨٢٤ هـ وتوفي سنة ٩٢٦ هـ ، وفي الكواكب السائرة ،
وأعلام الزركلي أنه ولد سنة ٨٢٣ هـ وهي إحدى روايتي الكواكب السائرة ، وفي رواية سنة ٨٢٤ هـ
وتوفي سنة ٩٢٦ هـ ، وفي هدية العارفين (٨٢٤ - ٩٢٦) والمذكور هو رواية ابن إياس في بدائع
الزهور وهي أولى بالإثبات لأن المعاصرة تجمعهما .

ترجمته في : الكواكب السائرة . للبدر الغزي ١٩٦/١٠ - ٢٠٧ ، وشذرات الذهب . لابن العماد
١٣٤/٨ - ١٣٦ ، والبدر الطالع . للشوكاني ٢٥٢/٢ - ٢٥٣ ، والنور السافر . للعيدروسي :
١٢٠ - ١٢٥ ، نظم العقيان . للسيوطي : ١١٣ ، وكشف الظنون . لحاجي خليفة : ٤١ و ٤٧ و ٩٢
و ١٥٢ و ١٥٦ و ١٨٨ ... إلخ .

إيضاح المكنون . لإسماعيل البغدادي : ١٠١/١ و ٢٥٥ و ٢٦١ و ٤٣٦ و ٤٧٥/٢/١٤٤ و ١٦٧
و ١٧٧ : المجددون في الإسلام . للصعدي ٣٤١ و ٣٤٣ ، وبدائع الزهور . لابن إياس ٣٧٠/٥ ،
والطبقات الكبرى للشعراني (زكريا) رقم ٥

ومات وله من العمر مئة سنة وستان بعدها .

وشنيكة : بليدة من شرقية مصر .

حكى الشيخ الشعرانى عن الشيخ زكريا^(١) قوله : « جئت من البلاد وأنا شاب ، فلم أعكِف على أحدٍ من الخلق ، ولم أعلق قلبى به ، وكنتُ أجوعُ في الجامع كثيرًا فأخرجُ بالليل إلى قشرِ البطيخ الذى كان بجانب الميضة وغيرها ، فأغسله وآكله إلى أن قيض الله لى شخصًا كان يشتغل فى الطواحين ، فصارَ يتفقّدنى ، ويشترى لى ما أحتاج إليه من الكتب والكسوة ، ويقول : يا زكريا لا تسأل أحدًا فى شيء ، ومهمًا تطلب جئتك به ، فلم يزل كذلك سنين عديدة »^(٢) .

ولما ظهر فضله تتابعت إليه الهدايا ، والعطايا ، بحيث كان له قبل دخوله فى منصب القضاء كل يوم نحو ثلاثة آلاف درهم ، فجمع نفائس الكتب ، وأفاد القارئین عليه علمًا ومالًا .

وولاه السلطان قايتباى الجركسى (٨٢٦ - ٩٠١) قاضى القضاة ، فلم يقبله إلا بعد مراجعة وإلحاح .

يقول : « إلى أن عزم على السلطان بالقضاء فأبيت ، فقال : إن أردت نزلت ماشيًا بين يديك أقود بغلتك إلى أن أوصلك إلى بيتك ، فتوليت وأعاننى الله على القيام به » .

وولى قضاء الشافعية فى دولة الأشرف وأقام بها فوق العشرين سنة ، وقد كُفَّ بصره قبل وفاته بمدة طويلة .

(١) الشيخ الشعرانى صاحب « طبقات الصوفية » : تلميذ الشيخ زكريا الأنصارى . يقول الشعرانى : « خدمته عشرين سنة » وكتب عنه الكثير بإملاء الشيخ زكريا .

(٢) الطبقات الكبرى للشعرانى .

وقد كان رضى الله عنه يتأسف على توليه القضاء .. قال الشعرانى : قال فى مرة : « إنها كانت غلطة » فقلت : ما هى ؟ فقال لى : « توليتى للقضاء ، صيرتني وراء الناس مع أنى كنت مستورا » .

وكان أكبر المفتين فى مصر ، يصير بين يديه كالطفل ، وكذا الأمراء والأكابر يقول الشعرانى : « وقال لى مرة : من صغرى وأنا أحب طريق القوم (يعنى المتصوفة) وكان أكثر اشتغالى بمطالعة كتبهم والنظر فى أحوالهم ، حتى كان الناس يقولون : هذا لا يجيء منه شئ فى علم الشرع ! ... وكنت مجاب الدعوة ، لا أذعو على أحد إلا ويستجاب فيه الدعاء ، فأشار على بعض الأولياء بالتستر بالفقہ ، وقال : استر الطريق ، فإن هذا ما هو زمانها ، فلم أكد أظاھر بشئ من أحوال القوم إلى وقتى هذا » .

وحضر مبايعة خمسة من السلاطين وهم :

١ - الناصر . محمد بن قايتباى .

٢ - قانصوة .

٣ - الأشرف . جان بلاط .

٤ - العادل . طوماى باى .

٥ - الأشرف الغورى .

وقال : « ما كان أحد يحملنى كما يحملنى السلطان قايتباى كنت أخط عليه فى الخطبة ، حتى أظن ما عاد قط يكلمنى ، فأول ما أخرج من الصلاة يتلقانى ويقبل يدى ويقول : جزاك الله خيرا » .

* * *

وولى تدريس قبة الإمام الشافعى رحمه الله ، وولى فى آخر عمره مشيخة المدرسة الجمالية .

وتكاثرت عليه في حلقاته صغار الطلبة ، والمشايخ الكُمَّل ووسع الناس ،
واستجَلَّهم وسبب ذلك في الحقيقة : كثرة اطلاعه ، وتحصيله الكتب الواسعة .
وكان وقورًا ، مهيبًا ، ملاطفًا .

يصلِّي النوافل من قيام مع كبير سنِّه وبلوغه مئة سنة وأكثر ، ويقول :
لا أعوِّد نفسي الكسل . حتى في حال مرضه ، كان يصلِّي النوافل قائمًا وهو
يميلُ يمينًا وشمالًا ، لا يتمالك أن يقفَ بغير ميلٍ ، للكبر ، والمرض ^(١) .

وكان يعتقد ابن العربي وابن الفارض وأنظارهما من كبار الصوفية ،
ويتأول كلامهم بتأويل جليَّة ، حتى ضمَّن ذلك كتابه « شرح الروض » وردَّ
فيه على معارضيه .

وكان لشيخ الإسلام زكريا ذوقٌ في فهم أشعار وكلام الصوفية ، ويشرح
كلامهم على أتم وجه ، ويجيب عنه الأجوبة الحسنة ، إذا أشكل على الناس
شيءٌ منه ، وكان يقولُ : الفقيه إذا لم يكن له معرفةٌ بمصطلح ألفاظ القوم فهو
كالخُبزِ الجاف بغير أذم ^(٢) .

ورفع إليه سؤال عن بيت من كلام العارفين ، صورته :

هُوَ السِّرُّ فِي الدَّارَيْنِ وَالتَّقَطُّةُ الَّتِي لَهَا حُرُوفٌ جَمِعَ أَعْجَمْتُ مِنْهُ تَفْرِقَةَ
وهو من مقطوعة شعرية تبلغ العشرة أبيات :
وحاصله نظمًا :

مَحَمَّدٌ فِي الدَّارَيْنِ أَكْمَلُ خَلْقِهِ تَعَالَى وَقَطْبُ الْأَنْبِيَاءِ مُصَدِّقَهُ
وَحَاتَمُ رُسُلِ اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي بِهِ أُزِيلَتْ جَمِيعُ الْمُعْجَمَاتِ الْمُوثَقَةُ

* * *

(٢) المرجع السابق .

(١) راجع الكواكب السائرة ١٩٦/١

فأجاب رضى الله عنه : بأن « السَّرَّ » : هو الأكمل . و « التَّقْطَةُ » : القطب . و « الحرف » : الطَّرْف . و « الجمع » هنا : الأنبياء .

وهمزة « أعجمت » للسلب ، يقال : أعجمتُ الكتابَ ، أى أزلتُ عجمته . و « تفرقة » مفعول له .

ويحتمل أن يراد ب « النقطة » : نقطة حرف الهجاء . و « بالجمع » : الكلمات ، على إرادة التشبيه البليغ .

أى هو كالنقطة التى بها أزيلت عجمة حروف الكتابة ، فإنه صلى الله عليه وسلم : أكمل الخلق وقطبهم الذى به ، أى بكونه قطبًا ، صار طرف الأنبياء وخاتمهم ، وأزيلت به العجمة من الكتاب المنزَّل ، تفرقةً بين الحق والباطل . وكان ينظم الشعر ولكنه شعر العلماء .

منه ما روى عنه فى المواضع التى تباح فيها الغيبة :

وَتُبَاحُ غَيْبَةِ لِمُسْتَفْتٍ وَمَنْ رَامَ إِعَاثَةَ لِدَفْعِ مُنْكَرٍ
وَمَعْرِفِ مَتَّظِلِّمْ مَتَكَلِّمْ فِى مُعْلِنٍ فِشَقًّا مَعَ الْمُحْذِرِ
وقال رضى الله عنه متوسلاً :

إِلهِى ذُنُوبِى قَدْ تَعَاظَمَ خَطْرُهَا
إِلهِى أَنَا الْعَبْدُ الْمُسِيءُ وَلَيْسَ لِي
إِلهِى أَقْلِنِى عَشْرَتِى وَخَطِيطَتِى
إِلهِى ذُنُوبِى مِثْلُ سَبْعَةِ أَبْحُرٍ
وَلَوْلا رَجَائِى أَنْ عَفْوِكَ وَاسِعٌ
إِلهِى بِحَقِّ الْهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ (*)
وَبِاللُّطْفِ وَالْعَفْوِ الْجَمِيلِ تَوْلَنِى

وَلَيْسَ عَلَى غَيْرِ الْمُسَامِحِ مُتَّكَلٍ
سِوَاكَ وَلَا عَلِمْتُ لَدَيْكَ وَلَا عَمَلٍ
لِأَنْنِى يَا مَوْلَاى فِى غَايَةِ الْحَجَلِ
وَلَكِنَّهَا فِى جَنْبِ عَفْوِكَ كَالْبَلَلِ
وَأَنْتَ كَرِيمٌ مَا صَبَرْتُ عَلَى زَلَلٍ
جِرْزِى مِنَ التَّيْرَانِ إِنِّى فِى وَجَلٍ
وَبِالْخَيْرِ فَاثْمُنُّ عِنْدَ خَاتِمَةِ الْأَجَلِ

(*) التوسل إلى الله - عز وجل - أنواع :

١ - التوسل إلى الله - عزَّ وَجَلَّ - بأسمائه وصفاته ، لقوله - عزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ =

شيوخه :

تفقه بجماعة منهم :

شيخ الإسلام . ابن حجر العسقلاني ، وفقه الوقت الشرف . موسى
ابن أحمد السبكي ثم القاهري ، والشيخ شمس الدين . محمد بن علي
البدريشيني ، والعلامة . شهاب الدين أحمد بن رجب القاهري ، وشهاب
الدين . أحمد بن محمد بن أحمد الغزي ، وشمس الدين . محمد بن
إسماعيل الوفائي ، وشيخ الإسلام . محمد بن علي القاياتي ، وعلم الدين .
صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني .

= الْحُسْنَى فَاذْعُوه بِهَا ... ﴿ [سورة الأعراف ، الآية ١٨٠] ، ولقول أنس - رضى الله عنه - :
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حَزَبَهُ أمر قال : « يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيْثُ » .

[رواه الترمذى والحاكم]

٢ - التوسل إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - بعمل صالح قام به الداعي ، وذلك يظهر من حديث الثلاثة :
« الذين أُووا البيت إلى الغار فدخلوه فدعوا بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ » [متفق عليه] .

٣ - التوسل إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - بدعاء الصالحين ، ومن ذلك حديث : « استسقاء عمر بالعباس
- رضى الله عنهما - » [رواه البخارى] .

وهذه الأنواع الثلاثة ما ذهب إليه الصحابة وجماهير السلف وأهل الحديث ، وأنكروا ما عدها .
وذهب البعض إلى جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره واستدلوا بحديث الأعرابي
الذى صاح بالنبي صلى الله عليه وسلم قائلاً : يا رسول الله إني أصبت في بصرى فادع الله لى ، فقال
صلى الله عليه وسلم : « تَوْضاً وصل ركعتين ، ثم قل : اللهم أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ،
يا محمد إني أتشفع بك فى رد بصرى ، اللهم شَفِّعْ نبيك فى ، فَرَدَّ اللهُ بصره » [رواه الترمذى ،
وابن ماجه] ، واختلف فى تأويله لأقوال عدة .

قال ابن تيمية : ورأيت فى فتاوى الفقيه الشيخ أبى محمد بن عبد الله أنه لا يجوز ذلك فى حق
غير النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رأيت عن أبى حنيفة وأبى يوسف وغيرهما من العلماء أنهم قالوا :
لا يجوز الإقسام على الله بأحد من الأنبياء ، ورأيت فى كلام الإمام أحمد أنه فى النبي صلى الله عليه
وسلم ، لكن هذا قد يخرج على إحدى الروايتين عنه فى جواز الحلف به صلى الله عليه وسلم ، فقد
مضت السنة أن الحى يطلب منه الدعاء .. أما الغائب والميت فلا يطلب منه شئ .

مجموع الفتاوى (٢٧/١ ، ١٠٣ ، ١٠٩) ، مجموع الرسائل والمسائل (١ - ٢٨/٣) .

وأخذ العربية ، والأدب ، والأصول ، والمعقولات عن شيخ الإسلام ابن حجر ، وعن المحيوى الكافيجى والتقى الحصكفى .

والإمام زين الدين . أبو النعيم رضوان ابن محمد العقبى ، والإمام المقرئ نور الدين على بن محمد بن الإمام فخر الدين الخزومى البلبيسى الشافعى .
إمام الأزهر .. قرأ عليهما للأئمة السبعة .

والإمام زين الدين . طاهر بن محمد ابن على النووى المالكى ، قرأ عليه للأئمة زيادة الثلاث زيادة على السبعة .

وقرأ على العقبى : الشاطبية ، والرائية ، وسمع عليه من التيسير للدانى .
وأجازه خلائق يزيدون على مئة وخمسين نفساً ذكرهم فى ثبته .

تلاميذه :

قصد بالرحلة إليه من الشام والحجاز .
ومن أعيان من أخذ عنه :

الشيخ الصالح الولى : عبد الوهاب الشعرانى صاحب الطبقات . والعلامة : جمال الدين عبد الله الصافى . والشيخ الإمام : نور الدين المحلى . والشيخ الإمام : مجلى . والشيخ الفقيه : عميرة البرلئسى . والشيخ العلامة : السيد كمال الدين بن حمزة الدمشقى . والشيخ بهاء الدين العصى . وشيخ الإسلام : الجّد . وشيخ الإسلام : الوالد^(١) . قرأ عليه المنهاج ، والألفية ، وسمع عليه أشياء كثيرة . والشيخ العلامة : مفتى البلاد الحلبية بدر ابن السيوفى . والشيخ شهاب الدين الحمصى . والشيخ بدر الدين العلائى الحنفى . والشيخ شمس الدين الشبلى . والشيخ العلامة فقيه مصر : شهاب الدين الرملى القاهرى . وولده شمس الدين الرملى . والشيخ العلامة مفتى الحجاز وعالمها : شهاب الدين بن حجر الهيثمى . شارح المنهاج . وولّد الشيخ زكريا^(٢) .
الصالح : جمال الدين يوسف . والشيخ . شمس الدين الخطيب الشربينى المصرى . والشيخ الإمام : نور الدين النسفى المصرى ثم الدمشقى . وغيرهم .

(١) المراد : جّد ، ووالد الشيخ نجم الدين الغزى صاحب الكواكب السائرة .

(٢) أنجب ولدًا من جارية سوداء (بدائع الزهور) .

علمه :

كان رضى الله عنه بارعاً فى سائر العلوم الشرعية وآلاتها : حديثاً ،
وتفسيراً ، وفقهاً ، وأصولاً ، وعربيةً ، وأدباً ، ومعقولاً ، ومنقولاً .
وجمع من أنواع العلوم ، والمعارف ، والمؤلفات المقبولة ، ومكارم
الأخلاق ، وحسن السمّت ، والتؤدّة ، والأخذ عن الأكابر : ما لم يجمعه
غيره .

مؤلفاته :

أعطى الحظّ فى مؤلفاته . فقد ذكر صاحب « الكواكب السائرة » أن
جملة مؤلفاته أحد وأربعين مؤلفاً^(١) .

فما يتعلّق بالفقه منها : المنهج ، وشرحه . وشرحا البهجة : الكبير
والصغير . وسمّاه (الخلاصة) . وشرح الرّوض . وشرح التنقيح . ومختصره .
وشرح مختصر أدب القضاء ، للغزى . والفتاوى .

وما يتعلّق بعلم الفرائض : شرحان على الفصول . وشرح الكفاية ، لابن
الهائم . وشرح النفحة القدسية ، لابن الهائم أيضاً . وما يتعلّق بالأوّل مختصر
جمع الجوامع . وشرح المختصر المذكور . وحاشية على جمع الجوامع ، للمحلى .
وقطعة على مختصر ابن الحاجب . وشرح الطوابع فى أصول الدين .

وما يتعلّق بالتفسير : حاشية على البيضاوى . ومقدّمة فى البسملة
والحمدلّة .

وما يتعلّق بالقراءات والتجويد : مختصر المرشد ، للعمادى . وشرح
الجزريّة . ومختصر قرّة العين ، فى الفتح والإمالة . ومقدّمة فى أحكام النون
الساكنة والتنوين .

(١) تبين فى حاسوب المخطوطات بدار الكتب المصرية أن له بها ٣٨٤ مخطوطاً ولك أن تراجع
هامش معجم المؤلفين لكحالة آخر ترجمته له .

- وما يتعلق بالحديث : شرح البخارى . والإعلام بأحاديث الأحكام .
 ومختصر الآداب ، للبيهقى . وشرح ألفية العراقي .
 وما يتعلق بالتصوّف : شرح رسالة القشيري . وشرح رسالة الشيخ أرسلان .
 وما يتعلق بالنحو والتصريف : شرح الشافية ، لابن الحاجب . وشرح
 الشذور ، لابن هشام .
 وما يتعلق بالمنطق : شرح إيساغوجى .
 وما يتعلق بالجدل : شرح آداب البحث .
 وما يتعلق بغير ذلك .
 مختصر بذل الماعون .
 شرح المنقرجة : كبيرٌ وصغيرٌ .
 ديوان خطب .
 الثبت الذى أثبت فيه مروياته ومجيزه .

* * *

وكانت وفاته رضى الله عنه . يوم الأربعاء ، ثالث شهر ذى الحجة^(١) .
 سنة ست وعشرين وتسع مئة . عن مئة وثلاث سنوات . وغسّل في صبيحة
 يوم الخميس ، وكفن وحمل ضحوة النهار ليصلى عليه بجامع الأزهر في
 محفل من قضاة الإسلام ، والعلماء ، والفضلاء ، وخلائق لا يحصون ،
 واجتمع بالجامع المذكور . ونواحيه أمثالهم ؛ اغتنامًا للصلاة عليه ، وقاربوا أن
 يدخلوا به ، وإذا بقصاد ملك الأمراء يحمله إلى سبيل المؤمنين ، ليظفر
 بالصلاة عليه ، فحمل إلى الرميثة وصلى عليه هناك .

يقول ابن إياس : نزل ملك الأمراء وصلى عليه وحمل نعشه . وتوجهوا
 به إلى الإمام الشافعى رحمه الله ودفن بالقرافة الصغرى في تربة الشيخ نجم

(١) فى الكواكب السائرة شهر ذى القعدة بدل « ذى الحجة » والمذكور هو ما فى بدائع الزهور ،
 والبدر الطالع ، وشذرات الذهب .

الدين الخويشاني بقرب قبر الإمام الشافعي - وصلى عليه صلاة الغائب في
الجامع الأموي بدمشق يوم الجمعة بعد صلاتها .. رحمه الله فكان أحق بقول
القائل فيمن رثاه حيث قال :

لَقَدْ دُرِسَتْ دُرُوسُ الْعِلْمِ حَزْنًا وَقَدْ ضَلَّ الْجَوَابُ عَنِ السُّؤَالِ
وَدَقَّ النَّاسُ أَبْوَابَ الْفَتَاوَى وَقَدْ وَصَلُوا إِلَى أَبْوَابِ الصِّيَالِ
بِكَأَكِ الْعِلْمِ حَتَّى التَّحَوُّ أَضْحَى مَعَ التَّضْرِيفِ بَعْدَكَ فِي جِدَالِ
بَكَتْ أَوْزَافُهُ بِيضَ الْمَوَاضِي دَمَا وَيِرَاعِهِ سُمَّرَ الْعَوَالِي (١)

* * *

ومدحه القاضي بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد فقال :

فَعَسَى ذَكَرَ رَحْمَةً مِنْ إِلَهِي لِي فِي حُبِّ عَبْدِهِ زَكَرِيَّا
شَافِعِي الزَّمَانِ قَاضِي قُضَاةٍ قَدْ تَلَقَّى الْحُكْمَ الْعَزِيزَ وَلِيَّا
هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ وَهُوَ إِمَامٌ كَانَ يَفْتَدِي بِهِ مَهْدِيَّا
...
عَالِمًا عَامِلًا جَلِيلًا جَمِيلًا خَاشِعًا نَاسِكًا عَزِيزًا أَبِيَّا
عَابِدًا زَاهِدًا إِمَامًا كَبِيرًا مَحْسِنًا مَخْلِصًا كَرِيمًا سَرِيًّا
أُمَّةً قَانِتًا حَنِيفًا مُنِيبًا خَاضِعًا مُخْبِتًا وَفِيًّا صَفِيًّا
مَلَأَ الْخَافِقِينَ فِي الْعِلْمِ حَتَّى سَارَ عَنْهُ مَعْنَعْنَا مَرْوِيَّا
هُوَ مِمَّنْ يُتَلَى الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّدًا وَبُكْيَا
وَلِهَذَا قَدْ حَلَّ مِنْ كُلِّ حَالٍ وَمَقَامٍ سَامٍ مَكَانًا عَلِيًّا (٢)

* * *

(١) راجع قصيدة تبلغ ١٧ بيتًا في (بدائع الزهور ، لابن إياس ٣٧١/٥) .
(٢) المذكور من عدة أبيات ٢٤ بيتًا في الكواكب السائرة (زكريا ص ٢٠٦) .

تَوْصِيفُ الْمَخْطُوطِ

« رقم ٤٥٠٨ أدب طلعت » دار الكتب المصرية .

صفحة العنوان بخط مغاير لخط الكتاب : « كتاب شرح المنفرجة »
لقاضى القضاة تاج الدين ابن الإمام المجتهد تقي الدين السبكي أعاد الله علينا
وعلى جميع المسلمين من بركاتهما . آمين » .

ثم ضرب عليه من « لقاضى القضاة ... حتى آخر العنوان » بخط يشير
إلى الخطأ وكتب فوقه بخط مخالف : « القاضى زكريا الأنصارى » وتحت هذا
العنوان كتب : « نسبة هذا الكتاب للشيخ تاج الدين السبكي غير صحيحة ،
بل هو تأليف شيخ الإسلام ، وقاضى القضاة زين الدين أبى يحيى . زكريا
الأنصارى رضى الله عنه » وذلك بخط صاحب المقابلات والتعليقات على
هذا الشرح .

وعليه أيضًا عدة تلميحات بتواريخها . وعدة أبيات شعرية بخط مغاير .
أول الصفحة الأولى منها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ،
الحمد لله المفرج للكروب عقيب الشدة . المنجى لخلص عباده من غياهب
الظلم المعدة . والصلاة والسلام على سيد الأنام . وعلى آله وأصحابه الغر
الكرام .

وبعد : فهذه ألم اشتد إليه حاجة المتفهمين « للمنفرجة » قصيدة الإمام
العلامة . الحبر الفهامة . العارف بالله الربانى . أبى الفضل . يوسف بن محمد
ابن يوسف التوزرى الأصل ، المعروف بـ « ابن النحوى » .

ومسطرتها ١٧ سطرًا ، وفى كل سطر ١٠ كلمات .

ومقاسها ١٩ × ١٤ سم ، و ١٠ سم طول السطر الواحد .

وعدد ورقاتها (٣٨ ورقة) وليس على ورقاتها ترقيم وإن كان محدثاً
وضع أرقاماً بالرصاص على بعض صفحاتها .

والمخطوطة مكتوبة بخط التعليق . وعليها مقابلة بأصلها ، وذلك بخط
ناسخها ، ومقابلة بمخطوطة ثانية بغير خط ناسخها .

وعليها تعليقات من شرح البصروي^(١) للمنفرجة مثل : « قيل للحسين
ابن عليّ رضي الله عنهما : إن أبا ذر يقول : إن الفقر أحب إليّ من الغنى ،
والسقم أحب إليّ من الصحة ! فقال : رحم الله أبا ذر ، أما أنا فأقول : من
اتَّكَلَّ على حسن اختيار الله لم يتمنَّ غير ما اختار الله له ! شارح بصروي » .
وفي تعليق آخر يقول : « من شرح البصروي على المنفرجة » .

والمخطوطة ليس فيها ضبط ولا شكل ولم يذكر بيت الشعر من المنفرجة
ثم يتبعه بالشرح . ولكنه يذكر الشرح دون ذكر البيت .
وآخرها :

وَعَلَى السُّبُطَيْنِ وَأُمِّهِمَا وَجَمِيعِ الْآلِ بِهِمْ تَلَجِ
وَعَلَى الْأَصْحَابِ بِجُمْلَتِهِمْ بَدَلُوا الْأَمْوَالَ مَعَ الْمُهْجِ
يَارَبِّ بِهِمْ^(*) وَبِآلِهِمْ عَجَّلْ بِالنَّصْرِ وَبِالْفَرَجِ

خاتمة الشارح : « وأنا أتوسل إلى الله تعالى بالناظم وأمثاله أن يمن عليّ
وعلى أمثالي بتوبة صادقة ، ونعمة صافية ، وعافية وافية .

قال مؤلفه (أى الشارح) ففتح الله مرقده ، ونور مضجعه .

تم الشرح بعون الله وحمده فى حادى عشرين شهر المحرم الحرام^(٢) من
شهور إحدى وثمانين^١ وثمانى مئة » .

(١) ممن شرحها : الشيخ الإمام أبو الحسن عليّ بن يوسف البصروي .

راجع : (كشف الظنون ١٣٤٦) .

(٢) فى كشف الظنون : فرغ من شرحها فى ١١ ذى الحجة سنة ٨٨١ هـ .

(*) تقدم الحديث عن هذا التوسل ص ١٩ ، ٢٠ .

خاتمة الناسخ : « قد وقع الفراغ من تسويده على يد الفقير إلى الله
الغنى الودود : يوسف بن الحاج إبراهيم غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما
وإليه بجاه من قبل البعير يديه . اللهم صلِّ وسلم عليه ، وعلى جميع الأنبياء
 والمرسلين ، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين .

وقع الفراغ في جامع منجك في شهر صفر المصفر سنة ١٠٣٤ » .

توقيع

يوسف إبراهيم

ثم ألحق بها « قصيدة المنفرجة » في صحيفتين بخط مغاير لخط
الأصل .

* * *

توضيف المطبوع

مطبوعة في المطبعة المحمودية التجارية في مصر سنة ١٣٤٥ هـ في (٤٤ صفحة) .

يشيع فيها التحريف ، والتصحيف ، والخطأ الصريح .. وليس هذا من الشارح - أستغفر الله - سيد العلماء المحققين كما هو واضح في شرحه . ولكن ذلك من مصحح المطبعة التي قامت بطباعتها ، وعدم معرفته لقراءة النص فظلم الشارح رحمه الله .

فمثلاً في البيت (رقم ٥) صفحة (٨) من مطبوعته يذكر :

« ولو أن أهل القرآن آمنوا واتقوا !! »

وصوابها : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ... ﴾ (١) كما في

المخطوط والقرآن .

وتراه في البيت (رقم ٢٥) صفحة (٢٦) يذكر :

« ويجوز عود الصميرين إلا الآيات » .

وصوابها : « ويجوز عود الضمير إلى الآيات » كما في المخطوط .

والبيت (رقم ٢٨) يذكر : « أو مبيداً » .

والصواب : « أو مبتداً » .

ومثل هذا كثير يشيع في الشرح . سامحه الله وغفر له ، وسامحنا

وغفر لنا .

(١) سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

المَصَوِّرَاتُ

كتاب ادر طبعه ٤٠٠٨

شرح المنفرجه
مكلا بغير الرخصة
المرفوعه بغير الرخصة
وانه
في حوت عام
نستفقدنا الكتاب

القاضي القضاة تاج الدين ابن الامام المجتهد

في الدين النبكي

وعلي جميع المسلمين

بركاتهما امين

هذا النصيبه للسبح تاج الدين
السبكي غير صحيح بل هو تاليف
لسبح الاسلام وقاضي القضاة
لدين الدين ابن تيمية الا تصالحي ولكن
تكريرا للانصاري رضي الله عنه

الاسم وال
بالله باصاحبه هيا بنا الواو

نثلم الواعى ونعمله فله
تجارت رب الذي للعا لمن لا ادى
به كلامي وخيلنا انوا يكره

املا الصد للذليل
اسعد بن كطول
او حال
بها

ارضا للعرال
بادر ففوق على ما قاله حال
من حسن فذكره وخذك ما شاؤوا
تجارت رب الذي هو كذا يبرر
اقصه وذكره لان حرة في امرى

ارناله هو ال
وان الله انتم تهدي قد مضى وراى

هو وقد تبركوا به بغيره وسماضه
هي وحده من الذي لا يبرر مناه
ند على ان ابا الجوز
كلما الفراج

صفحة الغلاف من المخطوطة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَهُوَ سَيَقِينُ
 أحمد بن محمد بن يوسف الكوفي شيخ الشافعي المتبحر المخلص
 عباده من غيايب الظلم المعتد والصلوة والسلام على
 سيد الانام وعلي آله واصحابه الغر الكرام وبعد فإني اشهد
 اليه حاجته المتفهمين للمنفحة قصيدة الامام العلامة
 اجرة التخرير الغلام العارف بالله الرباني ابي الفضل يوسف
 بن محمد بن يوسف التورزي الاصل المعروف بابن النقيب
 طلق قاله العلامة ابو العباس احمد بن ابي يزيد البجاوي
 شارحا ادا ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم الانديسي
 العرش طلق قاله العلامة تاج الدين السبكي في طبقاته
 مع نقله الاول من شارحا المذكور رحمه الله ونفعنا
 ببركتهما من شرح بكل الغاظا ويبين مراد ما ويكشف
 لطلابنا نقابا على وجه لطيف ومنهج منيف لخصيته
 من الشرح المشا واليه وغيره مع تبديل وتغيير لما
 يحتاج اليه تحريم واسئل الله تعالى ان ينفع به وان
 يجعله خالها لوجهه وبسميته باضواء البهجة في
 ابراز دقايق المنفحة وهي من البهات دس
 عشر

الصفحة الأولى من المخطوطة

القضاء بالمعنى الاول فانه يجب الرضا به مطلقا
 فالمقتضى عليه بمعصية من كذا او غيره يحرم عليه الرضا بها
 من حيث انها مكتسبة له ومنهى عنها ويجب عليه
 الرضا بها من حيث انها خلق الله تعالى وابتعادها لانه
 من سخطها كان قال لم فعل في هذا وانا لا استخف
 كان ذلك كذا او معصية اخرى بحسب حاله فخر
 ان الله تعالى يقول من لم ير ضيقا ولم يصبر
 على بلائنا فليخذلها ستواين والرضى قسما قسم
 يكون بكل مكلف وهو لا بد منه في الايمان وحيثما
 ان لا ينرض على حكم الله تعالى وتعدير وهو ما اشار
 اليه الناظم بامر وقسم ويكون لارباب المقامات
 وذوي النهايات وحيثما ابتهاج القلب وسرون
 بالمقتضى قال رابعة رحمة الله تعالى لما سئلت من
 يكون العبد راضيا قالت اذا سرته المصيبة كما
 سرته النعم واختلفوا في هذا اهل هو من المقامات
 او من الاحوال فقال اهل احرسان بالاول و
 معنا انه مكتسب العبد وهو نهاية التوكل واهل
 الوفاق

قول الحسين بن علي رضي الله عنهما ان اباذر يقول ان الفقرا حبا الى من الغني والسقم احب الى من الصحة فقال حم الله اباذر ما انا فاقول من اتقى علي حسن اختيار الله له يمكن غيب ما اختار الله له شرح بعروي

قول الحسين بن علي رضي الله عنهما ان اباذر يقول ان الفقرا حبا الى من الغني والسقم احب الى من الصحة فقال حم الله اباذر ما انا فاقول من اتقى علي حسن اختيار الله له يمكن غيب ما اختار الله له شرح بعروي

قول الحسين بن علي رضي الله عنهما ان اباذر يقول ان الفقرا حبا الى من الغني والسقم احب الى من الصحة فقال حم الله اباذر ما انا فاقول من اتقى علي حسن اختيار الله له يمكن غيب ما اختار الله له شرح بعروي

صفحة المخطوط المذكور رقم ١٢ وفيها يتبين
 التعليقات والمقابلات

ضاق الزرع فقل اشندي ازمة تنفرح و في نسخة
 اروي بدل حذين البينين . وجدوا بصيا الزكر
 ودلوا القوم على اسب نيرة و بيان علم العلماء بعروق
 دينهم البهيج . و بيان السطين و اعيان . و جميع الآل
 بهم تلح و بيان الاصل ب بكنهم . بدلوا الاموال
 مع المهرج . يارب بهم و بالهم . مجل بالنم و بالفرج .
 وانا الوصل الى الله تعالى بالنظم و اعلم ان بيننا و بينا
 اخاء بنوية صادقة و نعمة صافية و عافية و اقية
 قال مؤلف في الدم مرقد و نور مضجعه ثم الشرح
 بحمد و عونه في حادي عشر شهر محرم الحرام من
 شهر ربيع الاخر و ثمانين و ثمانمائة و قد وقع الفراغ
 من تسويد كتابه الفقير الى الله الفقيه الودود يوسف
 ابن الحاج ابراهيم غفر الله له و لوالديه و احسن
 اليهما و اليه يحيى من قبل البعير يوبى اللهم يا صلي
 وسلم عليه و بيا جميع الانبياء و المرسلين و بيا اللهم
 و صحبهم اجمعين و قد وقع الفراغ في جامع منجك
 في شهر صفر المحض سنة ١٠٠٠ هـ

صافية

علي بن محمد
 بن علي بن محمد
 بن علي بن محمد
 بن علي بن محمد

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

النَّصُّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة الشاح]

الحمد لله المفرج للكروب عقب الشدة * المنجى لخلص عباده من غياهب
الظلم المعده * والصلاة والسلام على سيد الأنام * وعلى آله وصحبه الكرام .
وبعد : فهذا ما اشتدت إليه حاجة المتفهمين « للمُنفرجة » قصيدة
الإمام العلامة * الحبر البحر الفهامة * العارف بالله الرباني أبي الفضل يوسف
ابن محمد بن يوسف التوزري الأضل^(١) المعروف بابن النحوي ، على ما قاله
العلامة أبو العباس أحمد بن أبي زيد الجائى شارحها ، أو أبي عبد الله بن
محمد بن أحمد بن إبراهيم الأندلسي القرشي على ما قاله العلامة تاج الدين
السبكي^(٢) في طبقاته مع نقله الأول عن أبي عبد الله محمد بن علي التوزري
المعروف بابن المصري رحمهما الله ، ونفعنا ببركاتهما .

من شرح يحل ألفاظها * ويبين مرادها * ويكشف لطلابها نقابها * على
وجه لطيف * ومنهج منيف لخصته من الشرح المشار إليه ، وغيره ، مع
تبديل وتعغير * لما يحتاج إلى تحرير * والله أسأل أن ينفع به * وأن يجعله
خالصاً لوجهه .

(١) تُوَزَّر : مدينة في أقصى إفريقيا ، من نواحي الزاب الكبير ، من أعمال الجريد ، معمورة ، بينها
وبين قفصة عشر فراسخ ، وأرضها سبخة ، بها نخل كثير . (ياقوت ، معجم البلدان) .

(٢) ستأتى ترجمته بعد ذلك .

وسميته بـ « الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة » .

وهي من البحرِ السادس عشر المسمى بالخبب^(١) الذي تركه الخليلُ
وغيره ، وأثبتّه الأَخْفَشُ وغيره .

وتفصيله : فاعلُنْ . ثمانِ مرّاتٍ^(٢) ، وسمّي بالخببِ ، لقصر أجزائه ،
وتقطيع أبيّاته ؛ يحاكي في السّمع ركض الخيل وخببها .. وزحافه^(٣)
« الخبن » وهو : حذف الثاني الساكن^(٣) .. وإن سكنت عينه^(٤) ، فقيل :
بالإضمارِ بعد الخبن ، وقيل : بالقطع ، وقيل : بالتشعيث^(٥) على ما هو
مبين مع الصّحيح منها في محلّه ، وهذه القصيدة سماها الشيخ تاج الدّين

(١) وهو البحر السادس عشر ، ويسمى « المحدث أو المخترع أو الشقيق أو المتسق أو الخيب ،
وركض الخيل » .

(٢) وذلك مثل :

جاءنا عامرٌ سالماً صالحاً بعد ما كان ما كان من عامرٍ

تقطيعه وتفعيله :

جاءنا / عامرُنْ / سالمُنْ / صالحُنْ بعد ما / كان / ما / كاتِمُنْ / عامرِي

فاعلن / فاعلن / فاعلن / فاعلن فاعلن / فاعلن / فاعلن / فاعلن

سالم / سالم / سالم / سالم سالم / سالم / سالم / سالم

(٣) حذف الثاني الساكن من « فاعلن » = « فَعْلُنْ » مثل :

أبكيّت على طَلَلٍ طَرِبا فشجاك وأحزّنتك الطلّل

فَعْلُنْ / فَعْلُنْ / فَعْلُنْ / فَعْلُنْ فَعْلُنْ / فَعْلُنْ / فَعْلُنْ / فَعْلُنْ

(٤) فيجىء على « فَعْلُنْ » مثل :

ما مِن يَوْمٍ يَمْضِي عَنَّا إلّا أَمْضَى مِنَّا قَسْرَنا

« فَعْلُنْ فَعْلُنْ » .

(٥) التشعيث : هو حذف أحد متحركي وتدها ، وهو أن يصير :

« فاعلاتن » أو « فاعثنُ » أو « فالآتنُ » .

وإنما سمي المشعث ، لأنك أسقطت من « وتده » حركةً في غير موضعها متشعث الجزء .

راجع : (كتاب الكافي في العروض والقوافي . للخطيب القزويني ١١٣) .

السبكي^(١) بـ «الفرج بعد الشدة» قال : وهى مُجَرَّبَةٌ لكشف الكزوب ، وأن كثيراً من الناس يعتقدون أنها مشتَمَلَةٌ على «الاسم الأعظم» وأن ما دَعَى بها أحدٌ إلا استُجِيب له . قال : وكنتُ أسمع الشيخ الإمام الوالد^(٢) إذا أصابه أزمة يُنشدُها^(٣) .

والظَّاهِرُ أنَّ نَاطِمَهَا ابتداءً لفظاً وخطاً بـ « بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » أو بالحمد لله ؛ لخبَرِ « كُلُّ أَمْرِ ذِي بَالٍ لَا يَبْتَدَأُ^(٤) فِيهِ بِبِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، وفى رواية : بـ (الحمد لله) فهو « أجذم » : أى مقطوع البركة^(٥) .

ثم قال مخاطباً لما لا يعقل بعد تنزيهه منزلة من يعقل ، كقولهِ تعالى : ﴿ ... يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ... ﴾^(٦) .

* * *

(١) تاج الدين أبو نصر : عبد الوهاب بن على . استطاع بذكائه وجدّه ودأبه أن يصل إلى أرقى المناصب وأن يحتل مكان الصدارة فى الفتيا والتدريس وأن يخرج إلى الناس من مؤلفاته ما يبهى : غزارة علم ، وجمال عرض ، وحسن تنسيق ، ولد بمصر سنة (٧٢٧ هـ) وتولى مناصب عديدة فى مصر والشام . راجع : (مقدمة طبقات الشافعية) .

(٢) أى والد تاج الدين السبكي .

وهو : شيخ الإسلام تقي الدين أبو الحسن على المتوفى سنة (٧٥٦ هـ) طار اسمه فملاً الأقطار وحلق على الدنيا ولم يكتف بمصر من الأمصار ، ولى التدريس فى أماكن كثيرة فى مصر والشام ، وتصدى لابن تيمية ورد عليه فى مسألتى : الطلاق وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، ووقع عليه الاختيار سنة (٧٣٩ هـ) ليكون قاضى قضاة الشام ، وصنف ما يربو على ١٥٠ مصنفاً فى العلوم الشرعية والعربية .

(٣) مقدمة تحقيق طبقات الشافعية .. الدكتور عبد الفتاح الحلو ، والدكتور محمود الطناحى) .

(٤) جاءت هذه الأخبار فى « طبقات الشافعية » عندما ترجم السبكي لمحمد بن الحسين بن

عبد الرحمن الأنصارى ص ٥٦/٨ و ٦٠ .

(٤) فى المخطوط : « بسم الله الرحمن الرحيم » لحديث : « كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه » .

(٥) ذكره الهيثمى فى (مجمع الزوائد ١٨/٢) وقال : رواه الطبرانى فى « الكبير » .

(٦) سورة هود ، الآية (٤٤) .

١ - اشْتَدَىٰ أْزَمَةً تَنْفَرَجِي قَدْ آذَنَ لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ (١)

« اشْتَدَىٰ أْزَمَةً » : أى شدة . وهو ما يصيب الإنسان من الأمور المقلقة من الأمراض وغيرها .

« تَنْفَرَجِي » بالجزم ، جواباً للأمر : أى تذهبي . بمعنى يذهب همك عنا .
« قَدْ آذَنَ » بالمدّ وفتح المعجمة : أى أعلم .

« لَيْلُكَ بِالْبَلَجِ » : أى ضياء الصبح . وهو استعارة للفرج ؛ لاشتراكهما فى الإذهاب والتحصيل ؛ لأن الضياء يُذهب الظلمة ، والفرج يُذهب الحزن ، ويحصل بكلّ منها الشُّرور ، وخصّ الليل بالذكر لاشتداد الكرب فيه ، واستعقابه للضياء ، وهو كناية عن الكرب لأنه لا زِمَ له كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ ﴾ (٢) : أى خاف ربه .

وبما تقرّر : عُلم أنه ليس المراد حقيقة أمر الشدّة بالاشتداد ، ولا نداءها ، بل المراد طلب الفرّج ؛ لتزول الشدّة .. لكن لما يثبت بالأدلة أنّ اشتداد الشدّة يُسبّب الفرّج كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٣) ، وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ... ﴾ (٤) .

وقوله صلّى الله عليه وسلم : « وإن الفرّج مع الكرب وإن مع العسر يُسرًا » (٥) أمرها ونادأها إقامة للسبب مقام المسبّب .. وفيه تشبيه وتأنيس بأن الشدّة نوعٌ من التّعنة لما يترتب عليها .

(١) يلاحظ أن المخطوطة لا تذكر نص البيت الشعرى ، وإنما الشرح فقط .

(٢) سورة الرحمن ، الآية (٤٦) . (٣) سورة الشرح ، الآية (٦) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٢٨) .

(٥) ذكره أحمد فى (مسنده ٣٠٧/١) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما .

و « قد » للتّحقيق وللتّقریب^(١) لأنّه طلب من الشدّة انفراجها بمضمون الجملة المذكورة ؛ فكأنّه قال : إنّما طلبتُ منك ذلك لتّحقيقِ حُصوله وقزبه عند اشتدادك .. وإسناد الإغلام إلى الليل : مجازٌ عقلي^(٢) . كما في : أنبت الربيع البقل . وليلته قائم .

وفي البيت من أنواع البديع^(٣) وبراعة المطلع . وهى سهولة اللفظ ، وحسنُ السبك ، ووضوحُ المعنى ، وتناسبُ المضراعين ، وعدمُ تعلق البيت بما بعده .

وبراعة الاستهلال : وهى أن يكونَ المطلع دالاً على ما بُنيت عليه القصيدة ونحوها .

كما بنى قصيدته على بيانِ سلوك الآخرة ، بتصفية القلب ، ورياضة النفس .

إذ مضمون البيت : أنّ الشدّة يعقبها الفرج ، فقد أنبأ عن قصده ؛ لأنّ سلوك طريق الآخرة فيه على النفس أعظم مشقة يعقبها أتم فرج .

والاقتباس : وهو أن يضمّن الكلام شيئاً من القرآن ، أو الحديث خاصة ، لا يتبّه على أنّه منه . وهو هنا فى المضراع الأول ، فقد روى أنّه من الحديث .

والطباق فى المصراعين : وهو أن يجمع بين أمرين متقابلين ، كما جمع

(١) فى المطبوع : « وللتقرب » مكان : « وللتقريب » .

(٢) المجاز العقلي : هو إسناد الفعل أو ما فى معناه إلى غير ما هو له للملاسة بتأويل .

(٣) البديع : دراسة لاتعدى تزيين الألفاظ أو المعانى بألوان بديعة من الجمال اللفظى ،

أو المعنوى .. ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم « البديع » كالجناس ، والتورية ، والطباق ... إلخ .

بين « الأشتداد » و « الانفراج » وبين « الليل » و « النهار » (*) .
وعطف على الجملة السابقة قوله :

اشْتِدَادُ الْأُزْمَةِ يُؤَدِّنُ بِالْفَرَجِ (*)

استهل الناظم قصيدته بمخاطبة الشدائد والحن التي كثيرا ما يصاب بها العبد في الدنيا ، فتشقى عليه ، وتضيق بها نفسه ، ويشتد مضضه ، ونزلها منزلة من يعقل فقال :

أيتها الأزمة ، اشتدى ما شئت فى النكاية ، وابلى ما أردت من القسوة ، فلن يستقر فى قلب المؤمن الصادق بأس ولا قنوط من روح الله ﴿ ... وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة يوسف ، الآية ٨٧] .

ولن يتزلزل يقين المؤمن ، لأنه يعلم أن ذلك من ابتلاء الله واختباره لعباده ، وهو أعلم بأمرهم ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَنَّكُمْ ﴾ .

[سورة محمد ، الآية ٣١]

وسيجعل الله بعد عسر يسرا ، وبعد ضيق فرجا ، فيكشف الغمة ويفرّج الكربة ، ويجزل المشوبة على صدق يقين المؤمن والظن بالله تعالى ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ .

[سورة الشرح ، الآيتان ٥ ، ٦]

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الفرج مع الكرب » .

فشدتك أيتها الأزمة مهما استحكمت بشيرة بانتهائك .. وقسوتك مهما طال الزمن مؤذنة بزوالك .
وإذا كانت بدايتك - بتقدير الله - ميخنة : فنهايتك ، بلطف الله منحة .
ولله الحمد والثناء فى كل الأحوال .

* * *

٢ - وَظَلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرُجٌ حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ

« وَظَلَامُ اللَّيْلِ لَهُ سُرُجٌ » : وهى الكواكب غير الشمس يمتد نورها .
« حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرُجِ » : وهى الشمس . وجعلت أباهَا ؛ لأنها الأضل ؛
إذ بنورها يذهب نور تلك ؛ ولأن نور القمر الذى هو أقوى من نور بقية
الكواكب الليلية مُستفادٌ من نورها على ما قاله أهل الهيئة .

والمراد : أن الكروب الشديدة لا بُدَّ فى أثنائها من الطافٍ تخفَّ معها
الآلام ، حتَّى يتفضَّل اللهُ تعالى بالفرج التام الذى لا ألم معه ، ولا كرب ،
كالليل المظلم ، جعل اللهُ فيه الكواكب يَقلُّ بها ظلامه ، ويخفُّ بها
قبضه ؛ حتَّى يدخل التهاؤُ فيذهب بظلامه ، وتنبسط النفس بضوئه^(١) .
وفى البيت : الجناس التام : وهو أن يتفق اللفظان فى أنواع الحروف
وأعدادها ، وهيأتها وترتيبها .

وردَّ العجز على الصدر : وهو إعادة اللفظة بعينها ، أو ما تصرف منها
فى آخر المضارع الثانى بعد ذكرها فى صدره ، أو فى حسوه ، أو فى الأول ،
وكلاهما فى سُرُجٍ مع السُرُجِ^(*) .

وعطفَ على الجملة السابقة أيضًا قوله :

(١) فى المطبوع : « بضوء » بدل : « بضوئه » .

التدرج فى كشف الغمَّة (*)

من السنن الإلهية - غالبًا - فى تفریح الشدائد القاسية ، وكشف المحن العاشية : التدرج فى
اللطاف ، وتخفيف وطأتها بشيء من الإتحاف ؛ ليأنس به المبتلى ، ويفسح له باب الأمل والرجاء .
ألا ترى الليل الدامس إذا اعتكرت ظلمته ، واشتدت رهبته ، وعظمت وحشته ، تُرى فى أعطافه
نجوم السماء ، ترسل بصيصًا من النور والضياء ، ويزغ فيه القمر يسيرًا ، ثم يكبر تدريجًا ، حتى يصير
بدرا منيرا ، فيخفف ذلك من صرائه ، حتى يغشاه النهار بضيائه ، فتمحى ظلمته ، وتنقشع وحشته ،
كأن لم يكن بالأمس .

هذا - وقد يأتى الله بالفرج عَجَلًا ، دون تدرج .

٣ - وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهَا مَطَرٌ فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ تَجَى (١)

« وَسَحَابُ الْخَيْرِ » : وهو الغيم . « لها » : وفي نسخة : « له » .
 « مَطَرٌ فَإِذَا جَاءَ الْإِبَانُ » : وهو بكسر الهمزة وتشديد الموحدة : الوقت .
 والمراد : وقت السحاب .

« تَجَى » : بالقصر ؛ للوقف : أى السحاب لما سَلَى ذوى الشدائد ،
 ورجاهم بأنها وإن عظمت ففي أثنائها ألطاف تمتد إلى الفرج التام .
 أشار إلى الحث على التزام الصبر في أزمنة تلك الشدائد ؛ لأنها
 لا تنقضى إلا بانقضاء زمانها ، ولا يأتي الفرج إلا في زمانه المقدر ، كالسحاب
 الذى يكون عنها الخصب بنزول المطر في وقت مقدر لا يتقدم ولا يتأخر ،
 فالعاقل لا يسعه إلا الصبر والتسليم لله تعالى وحسن الظن به ، ولا ينفعه
 الجزع ؛ لأنه محنة للقلب بلا فائدة .. وفيه سخط الرب . ولعل الفوائد في
 الشدائد . قال تعالى : ﴿ ... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
 أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ... ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ ... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا
 شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٣) ، وقريب من هذ قول الشافعي (٤) رضى
 الله عنه :

ولرب حادثة يضيق بها (٥) الفتى ذرعًا وعند الله منها المخرج

(١) فى المطبوع : « تجى » بدل « يجى » .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٩) .

(٤) هو : محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) ولد فى غزة ، وتوفى فى مصر ونشأ

بمكة ، ثم قدم بغداد ورحل إلى مصر وهو أحد الأئمة الكبار وصاحب المذهب المعروف .

(٥) فى المطبوع : « لها » بدل « بها » .

صَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا ^(١) لَا تُفْرِجُ ^(٢)
وقول غيره ^(٣) :

تَوَقَّعَ صَنَعَ رَبُّكَ سَوْفَ يَأْتِي بِمَا تَهْوَاهُ مِنْ فَرْجٍ قَرِيبٍ
وَلَا تَيْئَسْ إِذَا مَا نَابَ خَطْبٌ فَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ عَجَبٍ عَجِيبٍ
وفي البيت رد العجز على الصدر . وهو في « جاء » و « تجي » ^(*) .

- (١) في المخطوط : « وكان يظنها » بدل : « وكنت أظنها » .
(٢) البيت في ديوان الشافعي (صفحة ٤٠) طبعة دار ابن سينا وفيه :
ولرُبِّ نازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الْفَتَى ذَوْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْمَخْرَجُ
صَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتِهَا فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرِجُ
(٣) في المطبوع : « وقال غيره » بدل : « وقول غيره » .

للمقدرات الإلهية أوقات محددة ^(*)

قد تطول المحنة ، ويتفاقم الخطب ، ويبطئ الفرج ، فيتسرب القلق والجزع في شيء من البأس والقنوط إلى النفس ، بحكم البشر ، ولكن ذلك لا يلبث أن يزول من نفس المؤمن الصادق .
فإذا أراد الله تفريجها وكشفها وقع ذلك في وقته المقدر المعلوم ، ﴿ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ... ﴾ [سورة الشورى ، الآية ٢٧] في الأوقات المحددة له بمقتضى الحكمة الإلهية ، فليس ثمة ريب ولا عجل ، وإنما هو تقدير إلهي ، وتحديد حكيم بالمكان والزمان والحال .
وفي الحديث : « كل شيء بقدر ، حتى العجز والكيس » .
إذا علمت هذا ، فاعلم أن على العبد أن يكون في المحنة التي تنزل به حسن الأدب مع ربه ، قائمًا بحق العبودية له سبحانه ، وذلك بالتحقق بالأمر الآتية :
الرضا بالقضاء والقدر : فالرضا بالقضاء مفتاح الفرج ، وباب الله الأعظم .. وأثره في القلب :
السكينة ، والطمأنينة ، والانشراح .
فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ذاقَ طعمَ الإيمانِ مَنْ رَضِيَ باللهِ ربًّا » ، ومن رضيه ربًّا يرضى بحكمه وقضائه ولا يسخط عليه من حيث إنه مراده واختياره .
والصبر على البلاء : وهو تجرع مرارته من غير تقطيب وتعبيس ، ولا كراهية ، ولا اشمئزاز . =

وعطف على الجملة أيضًا قوله :

= أو هو سكون الخاطر في حالتي المحنة والمنحة على السواء .
فمن رضى بالقضاء . وصبر على البلاء . وأحسن الظن بالله . والتجأ في ضرته إلى الله . واستجار
به ودعاه : كشف عنه سوء بفضله ، وهو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين . لا يرد سائلًا ،
ولا يخيّب أملًا .
وإذا أيقن المبتلى بذلك اطمأن قلبه ، وانشرح صدره ، وسكن جأشه ، ولم يبق في نفسه موضع
للقلق والجزع ، فلا جدوى للقلق والجزع بل هما شر وضُرٌّ ، وعناء وشقاء . والرضا بالقدر من أركان
الإيمان ، كما في (الصحيحين) ، وفي (مسند أحمد) : « لا يؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر : خيره
وشره ، ولن يغلب عسر يسرين » ، وأن رحمة الله قريب من المحسنين ، وأن الله مع الصابرين .

* * *

ولا يذهب إلى الوهم أنا نريد بما قدمنا أن المسلم إذا أصابه مرض ، يرضى ، ويصبر ، ويستسلم ،
فيدع الدواء والتداوى ، وإذا اعتدى على نفسه أو ماله أو عرضه ، أو أية حرمة من حرماته . يرضى
ويصبر !
وكيف نريد شيئًا من هذا وقد تداوى النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بالتداوى ، ومن قتل دون ماله
أو عرضه أو دمه فهو شهيد .
وإنما نريد منه إذا أصابته نائبة أو نزلت به جائحة أن ينزع من قلبه السخط على قضاء الله وقدره ،
ويملاً قلبه إيمانًا بالله ورضاء بقدره والله الموفق .

* * *

والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد وهو عنوان الفرج في (صحيح مسلم) : « عجبًا لأمر
المؤمن . إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن . إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرًا له ، وإن
أصابته ضراء صبر ، فكان خيرًا له » .
وحسن الظن بالله : والرجاء فيما عنده من الخير ، وفي الحديث القدسي : « أنا عند حسن ظن
عبدى بى ، فليظن بى ما يشاء » .
والاستسلام لله تعالى : والخضوع لحكمته وقضائه .
والالتجاء إلى الله : والركون إليه ، والتوكل عليه في كشف الغمة .

* * *

٤ - وَفَوَائِدُ مَوْلَانَا جُمْلٌ لِسُرُوحِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهَجِّ

« فَوَائِدُ مَوْلَانَا » : أى ناصرنا تعالى ، وهو جمع فائدة ، وهى : ما حصل من الأشياء النافعة فى الدين والدنيا . يقال : منه فادت لك فائدة : أى أثتكَ . « جُمْلٌ » : أى كثيرةٌ من أنواع لا تُحصى ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... ﴾ (١) .

« لِسُرُوحِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهَجِّ » (٢) بالسين والحاء المهملتين ، من سرحت الدابة سروحًا بالعادة . ضدّ الزواج بالعشي : أى لسروح الأنفس والأزواج لطلب منفعة معاش ، أو معاد . والإضافة فيه من إضافة الصفة إلى الموصوف كسحق عمامة : أى الأنفس والأزواج السوارح .

وفى رواية بالسين المعجمة : أى عطائاه تعالى كثيرةٌ معدة لشرح الأنفس والأزواج بإذهاب أحزانها . فكيف ينعس العاقل عند اشتداد الأزيمة ، وقد روى البخارى خبر : « ما يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا حَزَنِ حَتَّى يَهْتَمَّ يَهْتَمُّ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ » (٣) ، وخبر : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ بِشَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَمُحِيتٌ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ » (٤) .

وخبر : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبِّ مِنْهُ » (٥) .

وكل ذلك مبنى على الصبر وهو أربعة أنواع :

١ - صبرٌ على الطاعة .

٢ - صبرٌ عن المعصية ، وهما أساس طرق الاستقامة .

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٣٤) . (٢) فى المطبوع : « المنهج » بدل : « المهج » .

(٣) صحيح الجامع الصغير وزياداته (رقم ٥٨١٨) .

(٤) صحيح الجامع الصغير وزياداته (رقم ٥٧٦٣) .

(٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته (رقم ٦٦١٠) ، والبخارى (٢٧/١) .

٣ - صَبْرٌ عَنِ فَضُولِ الدُّنْيَا ، وَهُوَ أَسَاسُ الزَّهْدِ .

٤ - صَبْرٌ عَلَى المَصَائِبِ وَالمَحَنِ ، وَهُوَ أَسَاسُ الرِّضَى وَالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ تَعَالَى .

وَحَسْنُ الظَّنِّ ، وَهُوَ أَشَقُّ الأَنْوَاعِ عَلَى النَّفْسِ ؛ فَلِذَلِكَ أَفْرَدَهُ التَّاظِمُ بِالدُّكْرِ .

فَرَجَى أَوَّلًا : بِانْقِضَاءِ الشَّدَّةِ .. وَأَنَسَ النَّفْسَ بِالمَحَنِ : ثَانِيًا ، وَأَمَرَ بِالصَّبْرِ : ثَالِثًا . كَمَا تَقَرَّرُ .

ثُمَّ أَشَارَ إِلَى كَرَمِهِ تَعَالَى وَكَثْرَةِ عَطَايَاهُ لِمَنْ طَلَبَهَا مِنْ بَابِهَا عَلَى وَجْهِهَا بِالصَّبْرِ ، وَالأَدَبِ ، وَحَسْنِ الظَّنِّ .

و « المَهَج » جَمْعٌ : مُهْجَةٌ . قَالَ الجَوْهَرِيُّ (١) : وَهِيَ الدَّمُ . وَقِيلَ : دَمُ القَلْبِ . وَقِيلَ : الرُّوحُ ، وَهُوَ المَرَادُ هُنَا ، كَمَا شَرَحْتُ عَلَيْهِ . وَالمَشْهُورُ أَنَّ الرُّوحَ هِيَ النَّفْسُ فَالمَسْوُوعُ لِعَطْفِهَا عَلَيْهَا : اِخْتِلَافُ اللَّفْظِ ، كَعَطْفِ رَحْمَةِ عَلَى صَلَوَاتٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... أَوْلَيْكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ... ﴾ (٢) .

وَحَقِيقَةُ الرُّوحِ .. لَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَمَسَّكُ عَنْهَا ، وَلَا تُعْتَبَرُ عَنْهَا بِأَكْثَرٍ مِنْ مُوجُودٍ . قَالَ الجَنَيْدُ (٣) وَغَيْرُهُ : الخَائِضُونَ

(١) هو : إسماعيل بن حماد الجوهري من الفاراب إحدى بلاد الترك ، إمام في علم اللغة وله كتاب « الصحاح » في اللغة أشهر من أن يعرف به . مات ببغداد سنة ٣٩٨ هـ .
(إنباه الرواة ١/١٩٥) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٥٧) .

(٣) الجنيد : هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز : أصله من نهاوند ومولده ومنتزه بالعراق . من متصوفة الطبقة الثانية ، فقيهاً مفتياً في حلقاته من أئمة القوم وساداتهم . توفي سنة ٢٩٧ هـ .
(طبقات الصوفية للسلمي ٣٦) .

فِيهَا اخْتَلَفُوا ، فَقَالَ جَمْهُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ : إِنَّهَا جِسْمٌ ، لَطِيفٌ ، شَفَافٌ ، حَتَّى لَذَاتِهِ ، سَارٍ فِي الْبَدَنِ كَمَا فِي الْوَرْدِ .

وَاحْتَجَّ لَهُ بِوَضْفِهَا فِي الْأَخْبَارِ بِالْهَبُوطِ ، وَالْعُرُوجِ وَالتَّرْدِيدِ فِي الْبِرْزَخِ .
وَقَالَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ : إِنَّهَا عَرَضٌ ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي صَارَ الْبَدَنُ بِوُجُودِهَا حَيًّا .

وَقَالَتِ الْفَلَسِيفَةُ وَكثِيرٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ : إِنَّهَا لَيْسَتْ بِجِسْمٍ ، وَلَا عَرَضٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ جَوْهَرٌ مُجَرَّدٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ غَيْرٌ مَتَحَيِّزٌ مُتَعَلِّقٌ بِالْبَدَنِ لِلتَّدْبِيرِ وَالتَّخْرِيكِ غَيْرِ دَاخِلٍ فِيهِ وَلَا خَارِجٍ عَنْهُ .

وَفِي الْبَيْتِ : « الْإِيغَالِ » : وَهُوَ خْتَمُ الْكَلَامِ بِمَا يُفِيدُ نَكْتَةً يَتِمُّ الْمَعْنَى بِدُونِهَا وَهُوَ فِي « الْمَهَجِ » .

وَعَطَفَ عَلَى « جَمَلٍ » قَوْلَهُ :

٥ - وَلَهَا أَرْجٌ ^(١) مُخِي أَبَدًا فَاقْضُ مَخِيَا ذَاكَ الْأَرْجِ

«ولها»: أى للفوائد .

«أَرْجٌ»: مِنْ أَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجًا ، وَأَرْيَجًا : إِذَا فَاحَ وَانْتَشَرَ .

«مُخِي» بضم الميم ، مِنَ الإِخْيَاءِ ، وَهُوَ إِعْطَاءُ الْحَيَاةِ ، وَهِيَ صِفَةٌ تَقْتَضِي الْحِسَّ وَالْحَرَكَةَ الْإِرَادِيَّةَ . أَيْ : مُخِي النَّفْسَ الرَّكِيَّةَ ، بِأَنْ يُحْيِيهَا اللَّهُ بِهِ . «أَبَدًا» : أَيْ دَائِمًا .

«فَاقْضُ مَخِيَا» بفتح الميم ، مِنْ الْحَيَاةِ : أَيْ فَأْتِ زَمَانَ ، أَوْ مَكَانًا . «ذَاكَ الْأَرْجِ» وَالْمُرَادُ : قَضُ ذَاكَ الْأَرْجِ الشَّرِيفِ فِي زَمَانِهِ ، أَوْ مَكَانِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ كُنِيَ عَنْهُ بِقَضْدِ مَخِيَاهُ : أَيْ زَمَانِهِ ، أَوْ مَكَانِهِ ؛ لِأَنَّهُمَا لَا زِمَانَ لَهُ . وَالْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرَهُ مُنْتزِعٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى كَقَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ... ﴾ ^(٢) ، وَقَوْلِهِ : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ﴾ ^(٣) .

وفى البيت : رَدَّ الْعُجْزِ عَلَى الصَّدْرِ ، وَقَدْ مَرَّ ^(٤) .

وَالتَّشْمِيمُ : وَهُوَ أَنْ يُؤْتَى فِي كَلَامٍ لَا يُؤْهِمُ خِلَافَ الْمُرَادِ بِفَضْلَةٍ لِئُكْتَبَ . وَهُوَ هُنَا فِي «أَبَدًا» .

(١) فى المطبوع : «أَرْجٌ» بدل : «أَرْجِ» . (٢) سورة الأعراف ، الآية (٩٦) .

(٣) سورة الطلاق ، الآيتان ، (٢ ، ٣) .

والآية : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [سورة الطلاق ، الآية ٣] .

(٤) فى آخر شرح البيت الثانى وهو قول المصنف :

٢ - وَظَلَامَ اللَّيْلِ لَهُ شُرُجٌ حَتَّى تَنْشَأَهُ أَبُو الشُّرُجِ

والجناسُ المحرفُ^(١) : هو ما اختلفتْ كلماتُهُ في هيئة الحروفِ ، وتوافقَتْ في نوعِها وعدديها ، وترتيبِها ، وهو هنا في « مُحْيِي » و « مَحْيَا »^(*) .
 وإذا امتثلتْ أمرى :

(١) الجناس : هو أن يتشابه اللفظان في النطق ، ويختلفا في المعنى . وهو نوعان :
 ١ - تام .

٢ - غير تام ، وهو ما ذكره المؤلف بـ « الجناس المحرف » ، وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور التي ذكرها وهو هنا بين « مُحْيِي » و « مَحْيَا » .

نعم الله لا تحصى^(*)

نعم الله وعطاياه كثيرة وافرة ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ... ﴾ [سورة إبراهيم ، الآية ٣٤] وهذه النعم هبات من الله لعباده المؤمنين .

وأما ما يجرى به الله من نعمه على عباده الجاحدين فهو « استدراج ، وإملاء » ليزدادوا إثماً ، ولهم عذاب مهين ، وهو متاع في الدنيا قليل ، ومأواهم جهنم وبئس المصير ، قال الله تعالى :

﴿ ... سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

[سورة القلم ، الآيتان ٤٤ ، ٤٥]

وكذلك العصاة ، والفساق والظلمة : يستدرجهم بالنعم ، ويمهلون بالعذاب والبلاء ، ففي الحديث : « إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته » .

فاحرص أخى المسلم على نعم الله وعطاياه في نفسك ومالك ، وقابلها باسماً يد الرجاء والافتقار إليه تعالى ، واسع إليها برجاء ، وحسن أدب لرب هذه النعم ، لتنال من فيضها سعادة الدنيا والآخرة .

* * *

٦ - فَلرُبَّتَمَا ^(١) فَاضَ المَحْيَا بِبُحُورِ المَوْجِ مِنَ اللُّجَجِ

« فَلرُبَّتَمَا » : أى وَقْت . « فَاضَ » : أى كَثُرَ فِيهِ .

« المَحْيَا » بفتح الميم : أى مكان الحياة .

« بِبُحُورِ المَوْجِ » : وهو المَرْتَفَعُ مِنَ المَاءِ . من : أَجْلِ .

« اللُّجَجِ » جمع : لُجَّة ، وهو : مُعْظَمُ المَاءِ .

شَبَّهَ المَحْيَا فى كَثْرَةِ الأَنْوَارِ والمَعَارِفِ بِوَادٍ فِيهِ مَاءٌ مَلَأَهُ وَارْتَفَعَ عَلَى جَوَانِبِهِ . وَالجَامِعُ بَيْنَهُمَا : المَحَلِّيَّةُ . وَهِيَ كَوْنُ الوَادِي مَحَلًّا لِلْمَاءِ ، وَالمَحْيَا مَحَلًّا لِلْأَنْوَارِ والمَعَارِفِ ، وَطَوَى ذِكْرَ المَشْبَهِ بِهِ وَأَتَى بِبَلَازِمِهِ ، وَهُوَ الفَيْضُ ، فَتَشْبِيهُ المَحْيَا بِالْوَادِي : اسْتِعَارَةٌ بِالكِنَايَةِ . وَإثْبَاتُ الفَيْضِ لَهُ : اسْتِعَارَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ .

ثم ذَكَرَ أَنَّ الفَائِضَ مِنْ ذَلِكَ المَحْيَا بِبُحُورٍ ، بِمَعْنَى أَنَّهُ انْتَبَسَطَ عَلَى الجَوَارِحِ وَسَائِرِ الجَسَدِ مِنَ المَحْيَا المَشْبَهِ بِالْوَادِي ، أَنوَارٌ عَظِيمَةٌ وَأَسْرَارٌ كَثِيرَةٌ شَبِيهَةٌ فى كَثْرَتِهَا وَانْتِشَارِهَا وَتَرَاكُمِهَا بِالبُحُورِ .. وَهَذَا تَشْبِيهُ آخَرَ فى الفَائِضِ عَلَى حَدِّ الاسْتِعَارَةِ الأَصْلِيَّةِ المَصْرُوحَةِ ، ثُمَّ رَشَّحَهَا بِالمَوْجِ وَاللُّجَجِ مِبَالِغَةً وَإِلْحَاقًا لَهَا بِالحَقِيقَةِ ، حَتَّى يَبْنِي عَلَيْهَا مَا يَبْنِي عَلَى الحَقِيقَةِ .

وَحَاصِلُ المَعْنَى : أَنَّكَ إِذَا امْتَثَلْتَ الأَمْرَ المَذْكُورَ فَقَدْ غَمَرَكَ فَضْلُ اللَّهِ فى الدَّارَيْنِ ، فَيَفِيضُ عَلَيْكَ خَيْرًا كَثِيرًا ، كَالْبُحُورِ المَتَلَاطِمَةِ أَمْوَالِهَا مِنْ كَثْرَتِهَا .

وفى « رُبَّ » سبعونَ لُغَةً : ضَمَّ الرَاءِ ، وَفَتْحُهَا مَعَ تَشْدِيدِ البَاءِ ، وَتَخْفِيفُهَا مَفْتُوحَةً فى الضَّمِّ وَالفَتْحِ ، أَوْ مَضْمُومَةً فى الضَّمِّ .. كُلٌّ مِنَ السَّنَةِ مَعَ تَاءِ التَّأْنِيثِ سَاكِنَةً ، أَوْ مَفْتُوحَةً ، أَوْ مَضْمُومَةً ، أَوْ مَعَ « مَا » أَوْ مَعَهَا

(١) رُبَّتَمَا : لغة فى « رُبَّ » وهى تفيد التكثير هنا بقرينة المقام . راجع : (آخر شرح البيت) .

بأحوالِ التَّاءِ ، أوِ مَجْرَدَةً مِنْهَا .. فَذَلِكَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعُونَ ، وَضَمُّهَا وَفَتْحُهَا مَعَ إِسْكَانِ الْبَاءِ . كُلٌّ مِنْهُمَا مَعَ التَّاءِ مَفْتُوحَةٌ أَوْ مَضْمُومَةٌ ، أَوْ مَعَ « مَا » أَوْ مَعَهَا بِحَالَتَيْ التَّاءِ أَوْ مَجْرَدَةً فَذَلِكَ ثِنْتَا عَشْرَةَ .. وَ « رُبَّتَمَا » بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا . كُلٌّ مِنْهُمَا مَعَ إِسْكَانِ الْبَاءِ أَوْ فَتْحِهَا أَوْ ضَمِّهَا مَخْفَفَةٌ أَوْ مُشَدَّدَةٌ فِي الْأَخِيرَيْنِ .. فَذَلِكَ عَشْرَةٌ . فَالْجُمْلَةُ سَبْعُونَ .

وَإِنْ نَظَرْتَ إِلَى تَحْرِيكِ التَّاءِ بِالْكَسْرِ كَمَا اقْتَضَاهُ تَغْيِيرُ مَنْ عَبَّرَ فِيهَا بِتَحْرِيكِهَا بَدَلَ فَتْحِهَا زَادَتْ اللَّغَاتُ عَلَى ذَلِكَ سِتًّا^(١) .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ^(٢) : « وَلَيْسَ مَعْنَاهَا التَّقْلِيلُ دَائِمًا . خِلَافًا لِابْنِ دُرُسْتُوهِ وَجَمَاعَةٍ .. بَلْ تَرِدُ لِلتَّكْثِيرِ كَثِيرًا وَلِلتَّقْلِيلِ قَلِيلًا » انْتَهَى .
وَقِيلَ : لَا تُدَلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُمَا إِلَّا بِقَرِينَةٍ .

وَفِي الْبَيْتِ : الْإِثْتِلَافُ . وَهُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ الْمُتَنَاسِبَاتِ ، لَا بِالضَّادِ ، وَهُوَ فِي « الْمَوْجِ » وَ « اللَّجَجِ » ، وَالْإِيغَالِ ، وَالتَّثْمِيمِ ، وَقَدْ مَرَّ^(٣) . وَهُمَا فِي قَوْلِهِ : « مِنْ اللَّجَجِ »^(*) .

(١) عبارة المخطوط : « وفي (رب) ثمانى عشرة لغة : ضم الراء ، وفتحها ، مع تشديد الباء وتخفيفها ، مفتوحة مع تاء التأنيث الساكنة ، ومفتوحة ومع التجرد منها . فذلك اثني عشرة . ضمها وفتحها مع إسكان الباء ، وضمها مع التشديد والتخفيف أو مع (ما) أو معهما ، أو مجردة عنهما ، فذلك ستة عشر ، وضمها مع إسكان الباء وضمها ، فهذه ثمانى عشرة » .

(٢) ابن هشام . هو : عبد الله بن هشام بن يوسف المصرى . الإمام المشهور . ولد فى القاهرة سنة ٧٠٨ هـ ، وتوفى سنة ٧٦١ هـ ، وله مصنفات كثيرة كلها نافع فى العربية . من مثل : « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » ، و « المغنى » وغير ذلك الكثير .

(٣) انظر : شرح آخر البيتين (٤ و ٥) .

التعرُّض للنفحات ، سبب فيضها على العبد^(*)

أى : فإذا امتثلت ما أوصحناه ، وسلكت الطريق الذى رسمناه ، فتعرضت للنفحات والهبات الربانية راضياً ، صابراً ، راجياً ، مسلماً وجهك لله ، متوكلاً عليه كما هو شأن المتقين ، فإنه يغمرك =

ثم استأنف فقال :

= غزير فيضها ، ويعمك سابع فضلها البالغ في كثرته وعظمه مبلغ البحور الزاخرة ، ذات الأمواج المتلاطمة ، واللجج المتعاطمة .

ومن ذلك تفريج الكربة ، وإزالة العسرة ، قال الله تعالى : ﴿ ... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ... ﴾ [سورة الطلاق ، الآيتان ٢ ، ٣] .

وقوله : ﴿ ... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٩٤] .

* * *

٧ - وَالْخَلْقُ جَمِيعًا فِي يَدِهِ فَذُوو سَعَةٍ وَذُوو حَرَجٍ

« وَالْخَلْقُ » بمعنى : المخلوق . حالة كونه . « جَمِيعًا » : أى مَجْمُوعًا .
 « فِي يَدِهِ » : أى قُوَّتِهِ ، أَوْ نِعْمَتِهِ . « فَذُوو سَعَةٍ » : أى يَسَارٍ .
 « وَذُوو حَرَجٍ » : أى ضَيْقٍ .

وفى نَسَخَةٍ : « مِنْ ذِي سِعَةٍ أَوْ ذِي حَرَجٍ » نَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى جَلَالِ اللَّهِ وَكَمَالِ إِحْاطَتِهِ بِعَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَبِفَضِيلَةِ لَا يُعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ... ﴾ (١) .

وَدَلَّ تَنْوِينُ « سَعَةٍ » وَ « حَرَجٍ » عَلَى تَنْوِينِهِمَا وَتَكْثِيرِهِمَا .. فَيَشْمَلَانِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرَ ، وَالْعَلِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْجَاهَ ، وَغَيْرَهَا .

وَ « سَعَةٍ » بِفَتْحِ سَيْنِهَا لَفْظًا ، وَكثِيرَهَا تَقْدِيرًا ؛ لِأَنَّ الْمَضَارِعَ مِنْهَا بِالْكَسْرِ ؛ لِأَنَّهُ فَتْحٌ لِحَرْفِ الْحَلْقِ . وَأَصْلُهَا : وَسِعَةٌ بِكسْرِ الْوَاوِ ، فَأَعْلَتْ تَبَعًا لِلْمَضَارِعِ بِحَذْفِ الْوَاوِ ، لَوْقُوعِهَا فِيهِ بَيْنَ يَاءٍ مَفْتُوحَةٍ وَكسْرَةٍ مَقْدَرَةٍ .

وَفِي الْبَيْتِ : الْجَمْعُ وَالتَّفْرِيقُ . وَهُوَ : أَنْ يَجْمَعَ شَيْعَانِ فِي حُكْمٍ ، ثُمَّ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا ، كَمَا جَمَعَ النَّاطِمُ الْخَلْقَ فِي نُفُوزِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمْ ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ بِأَنْ فَصَّلَهُمْ إِلَى مُوسِعٍ عَلَيْهِ ، وَمَضِيْقٍ عَلَيْهِ .

وَالتَّشْمِيمُ : وَقَدْ مَرَّ ، وَهُوَ فِي « جَمِيعًا » .

وَالطَّبَاقُ : وَقَدْ مَرَّ ، وَهُوَ فِي الْمَصْرَاعِ الثَّانِي .

وَالتَّرْدِيدُ : وَهُوَ أَنْ تَعْلُقَ لَفْظَةً بِمَعْنَى ثُمَّ بآخِرٍ ، كَمَا عَلَّقَ « ذُوو » أَوَّلًا « بِالسَّعَةِ » وَثَانِيًا « بِالْحَرَجِ » ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ... حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ ... ﴾ (٢) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية (١٢٤) .

(١) سورة المدثر ، الآية (٣١) .

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (١).

(١) سورة الحشر ، الآية (٢٠) .

٨ - وَنَزُولُهُمْ وَطُلُوعُهُمْ فَعَلَى دَرَكٍ وَعَلَى دَرَجٍ

« وَ » : أمَّا « نَزُولُهُمْ » : أى الخَلْق . مِنْ عَلُوِّ إِلَى سُفْلٍ حِسًّا ، أَوْ عَقْلًا :
أَغْنَى بِرُتْبَةٍ . « وَطُلُوعُهُمْ » : مِنْ سُفْلٍ إِلَى عَلُوٍّ كَذَلِكَ « فَعَلَى دَرَكٍ » فى
الأوَّل ، « وَعَلَى دَرَجٍ » فى الثَّانِي .
وفى نُسخةٍ : « فِإِلَى دَرَكٍ وَإِلَى دَرَجٍ » يقال : التَّارُ دَرَكَاتٌ ، وَالجَنَّةُ
دَرَجاتٌ وَالْمُناسِبَةُ ظَاهِرَةٌ .

نَبِهَ بِهَذَا الْبَيْتِ ، وَمَا بَعْدَهُ عَلَى طَلَبِ الْخَوْفِ ، وَالرَّجَاءِ ، وَالتَّوَكُّلِ ،
والتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَأْكِيدًا لِأَمْرِ الصَّبْرِ الَّذِي هُوَ أَسَاسُ التَّقْوَى .

وَقَدْ شَبَّهَ مَا حَصَلَ لِلْعَبْدِ مِنْ مَحْسُوسٍ وَمَعْقُولٍ بِالذَّرَكِ وَالذَّرَجِ ، بِجَامِعِ
الْمَحَلِّيَّةِ ؛ لِأَنَّ الذَّرَكَ وَالذَّرَجَ مَحَلَّانِ لِمَنْ حَلَّ فِيهِمَا فى وَقْتِ مَخْضُوعٍ ،
كَمَا أَنَّ الْإِنْتِقَالَاتِ فى الْأَحْيَانِ ، وَانْتِسَابِ الْمَعَانِي الشُّفْلِيَّةِ وَالْعُلُوِّيَّةِ مَحَلٌّ
لِكُنْسِيهِ ، مَقْدَرَةٌ بِمَقَادِيرِ وَصِفَاتِ مَخْضُوعَةٍ .. وَأُطْلِقَ اسْمَ الْمَشَبِّهِ بِهِ عَلَى
الْمَشَبِّهِ ، كَمَا أُطْلِقَ اسْمَ النَّزُولِ وَالطُّلُوعِ عَلَى اكْتِسَابِيهِمَا مَبَالِغَةً بِالِاسْتِعَارَةِ
التَّحْقِيقِيَّةِ .

وفى البيت : الطباق فى المصراعين . والمناسبة اللفظية فيهما هى : الإتيانُ
بكلماتٍ مرتباتٍ مقفياتٍ . كما فى الأوَّل ، أَوْ غَيْرُ مَقْفِيَّاتٍ كَمَا فى الثَّانِي .
واللفَّ والتَّشْرُّ : وهو أَنْ يَأْتِيَ بِأَشْيَاءَ ، ثُمَّ تَقَابَلَ بِأَشْيَاءَ بَعْدَهَا يَرُدُّ كُلُّ
مَنْهَا إِلَى مَا يَنَاسِبُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ ثِقَّةً بِفَهْمِ السَّمَاعِ .
والتَّرْدِيدِ فى « عَلَى » .

والجناس اللاحق : وهو ما اختلفت كلماته بحروفٍ بعيدٍ فى المخرج .
وهو فى « دَرَكٍ » و « دَرَجٍ » كما فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ
لَشَهِيدٌ ﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿ (١) .

(١) سورة العاديات ، الآيات (٧ ، ٨) .

٩ - وَمَعَايِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ لَيْسَتْ فِي الْمَشْيِ عَلَى عِوَجٍ

« وَمَعَايِشُهُمْ » فى الدنيا : مِنْ مَطَاعِمٍ وَمَلَابِسٍ وَنَحْوِهَا .

« وَعَوَاقِبُهُمْ » فى الآخرة : من سَعَادَةٍ وَسَقَاوَةٍ .

« لَيْسَتْ فِي الْمَشْيِ » إِلَيْهِمْ .

« عَلَى عِوَجٍ » بَلْ مُسْتَقِيمَةً ؛ فَإِنَّهَا مَرَادَةٌ مَقْدُورَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ، تَتَوَجَّهُ

إِلَيْهِمْ فى أَوْقَاتِهَا الْمَخْصُوصَةِ ، كُنُزُورِهِمْ وَطُلُوعِهِمْ .

وهمز « معاش » شاذٌّ ؛ لأنَّ ياءَها عَيْنٌ لِلْكَلِمَةِ ، بخلافِ « صحائف »

فإنَّ ياءَها زائدة .

وقد شبه « المعاش » و « العواقب » لحصولها شيئًا فشيئًا بالماشى ،

وأثبتَ لها المشى فتشبيهُها بالماشى : استعارة بالكناية . وإثباتُ المشى له :

استعارة تخيلية . وفيه إشارة إلى الإجمالِ فى الطلب .

وفى البيت : المناسبة اللفظية .

والطباق :

والجمع : وهو أن يجمع شيان فى حُكْمٍ فى قوله تعالى : ﴿ الْمَالُ

وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ (١) . وتلك المذكورات من السعة ،

والخرج ، والتزول ، والطلوع ، والمعاش ، والعواقب (*) .

(١) سورة الكهف ، الآية (٤٦) .

السلطان الإلهي (*)

فى الأبيات : ٧ و ٨ و ٩

جمع الخلائق فى قبضة قدرته تعالى ، وتحت قهره وسلطانه ، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ١٨] يعطى ، ويمنح ، ويعز ، ويدل ، ويسيطر الرزق لمن يشاء

ويقدر ، ويمرض ويشفى ، ويسعد ويشقى ، ويشيب ويعاقب ﴿ ... وَمَا رَأَيْتُكَ بِظُلَامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ .

[سورة فصلت ، الآية ٤٦]

فعلى العبد الشكر على السراء ، والصبر على الضراء ، والرضا بالقضاء ، فى كل أمر لربه ، وأن يدوم

بين الخوف والرجاء ويخلص له تعالى العبادة والدعاء .

١٠ - حِكْمٌ نُسِجَتْ بِإِيدِ حِكْمَتِ ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسِجِ

« حِكْمٌ » مِنَ اللَّهِ جَمْعٌ : حِكْمَةٌ . وَهِيَ صَوَابُ الْأَمْرِ وَسَدَادُهُ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَتَصَرَّفُ فِي عِبِيدِهِ بِمَا يَشَاءُ . وَافَقَ غَرَضَهُمْ أَوْ لَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ . وَحَظَّ الْعَبْدُ يَا مَالِكَ يَوْمَ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعِيدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ .

« نُسِجَتْ » تِلْكَ الْحِكْمِ . « بِإِيدِ » : أَى بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى .

« حِكْمَتِ » : أَى قَضَتْ فِي كُلِّ الْأُمُورِ وَلَا زَادَ لِمَا قَضَى .

« ثُمَّ انْتَسَجَتْ » تِلْكَ الْحِكْمِ : أَى التَّحَمَّتْ .

« بِالْمُنْتَسِجِ » : أَى الْمُؤْتَلِفِ . وَالْمُرَادُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُقْضَى عَلَيْهِ بِالْمَقَادِيرِ .

شَبَّهَ تِلْكَ الْأُمُورِ فِي تَعَلُّقِهَا بِالْعَبِيدِ ، وَتَنَاسُيْهَا لَهُمْ مَعَ تَأَثُّرِهِمْ بِهَا اِرْتِفَاعًا وَإِنْخِفَاضًا بِخَيْوِطِ تُنْسَجِ ، وَأَثْبَتَ لَهَا النَّسِجَ ، فَتَشْبِيهُهَا بِالْخَيْوِطِ : اِسْتِعَارَةٌ بِالْكَتَابَةِ . وَإِثْبَاتُ النَّسِجِ : اِسْتِعَارَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ . وَذَكَرَ الْيَدَ : تَرْشِيحٌ لِلْاِسْتِعَارَةِ . فَتَنَاسَبَ النَّسِجُ وَالْخَيْوِطُ لِكُونِهِ بِهَا .

وَفِيهِ تَنْبِيْهُ لِلْعَاقِلِ عَلَى تَلَقُّي الْمَقَادِيرِ بِالْقَبُولِ وَتَسْلِيمِ الْأَمْرِ لِلَّهِ تَعَالَى ، لِلْعِلْمِ بِأَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَبْدِ شَيْءٌ مِنَ الْأَمْرِ ، وَإِنَّ الْأَمْرَ مُرْتَبِطٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى اِرْتِبَاطًا يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْمَعْقُولَاتِ وَالْمَأْلُوفَاتِ . وَالْمُرَادُ « بِالْحِكْمِ » : الْمَقَادِيرِ الْمَصُورَةُ بِصُورَةِ الْخَيْوِطِ الْمُنْسُوجَةِ .. وَ« اِنْتَسَجَ » مَطَاوِعَ « نَسِجَ » وَالنَّسِجُ : الْإِلْحَامُ . وَ« ثُمَّ » لِلتَّعْقِيبِ بِمَعْنَى « الْفَاءِ » كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ :

كَهَزِ الرَّدِّيْنِي تَحْتَ الْعِجَاجِ جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبَ (١)

(١) هَذَا الْبَيْتُ هُوَ مَا اسْتَشْهَدَ بِهِ ابْنُ هِشَامٍ وَهُوَ الشَّاهِدُ رَقْمَ ٤١٥ فِي كِتَابِهِ « أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ » ، وَنَسَبَهُ مُحَقِّقُ « أَوْضَحَ الْمَسَالِكِ » إِلَى حَارِثَةَ بْنِ الْحِجَاجِ الْإِيَادِي مِنْ كَلِمَةِ يَصِفُ فِيهَا فَرْسَهُ . =

أو للتراخي الرثبي ، لأنّ الانتساج مُتَأَخَّرٌ عَنِ التَّسْحِجِ رُثْبَةً تَأَخَّرَ المَغْلُولُ
عَنْ عِلَّتِهِ .

وفى البيت : الجناس المحرف وقد مرّ . وهو هنا فى « حكم » و « حكمت » .
والانتلاف : وهو هنا فى « نسجت » مع « يد » .

وشبه الجناس : وهو أنّ يَجْمَعُ اللَّفْظَيْنِ الاِسْتِثْقاقِ أَوْ شِبْهَهُ ، وهو هُنَا
فى « نَسَجَتْ » و « اِنْتَسَجَتْ » و « المَنْتَسَجِ » .

وشبه الازدواج : وهو أنّ يُؤْتَى بِجَمَلٍ مَتَعاطِفةٍ بِغَيْرِ الوَاوِ مرَّتَبٍ بَعْضُهَا
عَلَى بَعْضٍ ، وهو هنا فى « نسجت » و « انتسجت » .

والجناس : تشابُه اللَّفْظَيْنِ فى التَّلَفُظِ .

والازدواج : توالى كلمات الجناس ، ومنه قولهم : مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَّ
وَجَدَّ . وردُّ العَجْزِ عَلَى الصِّدْرِ فى الفِعْلِ الأوَّلِ مَعَ الثَّانِي ، وَمَعَ اسْمِ الفَاعِلِ .

والتثمين فى « حَكَمَتْ » .

والتسميط : وهو أنّ يُصَيِّرَ الشَّاعِرُ البَيْتَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ ثَلَاثَةً مِنْهَا عَلَى

سَجْعٍ وَاحِدٍ ، وهو فى الأفعال (*) الثلاثة .

= والشاهد فيه : « ثم اضطرب » على ما هو مفصل فى كتب النحو .

اقتران التقدير الإلهي بالحكمة (*)

اعلم أن جميع المقدرات الإلهية من السعة والضييق ، والسعادة والشقاوة ، والمعاش الدنيوية ،
والعواقب الأخروية ، لا تصدر عن الله سبحانه وتعالى ، إلا لحكم تقتضيها ، وتترتب عليها ، فكلها
حكم وضوابط وسداد ، قضى بها الحكيم الخبير أزلًا ، وأجراها على العباد فيما لا يزال .. وافقت
أغراضهم أم لا .

وأشار الناظم بقوله : « حِكْمٌ نَسَجَتْ بِالمَنْتَسَجِ » إلى شدة تعلق هذه المقدرات بالعباد ، المقضى
عليهم بها ، وأنه لا انفكاك لهم عنها ، ولا لها عنهم ، وأنه لا قوام لشئونهم المعاشية والمعادية =

وإذا كانت المذكورات « حِكْمًا » كما ذكر .

= إلا بها ، كما أنه لا انفكاك للسدى عن اللحمة ، ولا للحمية عن السدى فى الثوب المنسوج ، ولا قوام له إلا بهما معا .
فليس شىء من هذه الشئون إلا بقضاء وتقدير ، وحكمة وتدبير من الحكيم الخبير .

* * *

وظاهر أن الرضا بالمقدر مع كونه واجبا من حيث صدوره عن المدبر الحكيم .. لا يمنع الدعاء بكشف البلاء ، فقد يكون الكشف معلقا عليه : ﴿ ... اذْعُرْنِي أَشْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾ .

[سورة غافر ، الآية ٦٠]

ووعده بالإجابة : ﴿ ... أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٨٦] .
ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم ربه دعوات بليغات فى الشدة . تفرق الحصر .

* * *

١١- فَإِذَا اقْتَصَدْتَ ثُمَّ انْعَرَجْتَ فَبِمُقْتَصِدٍ وَبِمُنْعَرَجٍ

« فَإِذَا اقْتَصَدْتَ » : أى تَوَسَّطْتَ فى نَظَرِ العَقْلِ .

« ثُمَّ انْعَرَجْتَ » : أى مَالَتْ فِيهِ .

« فَبِمُقْتَصِدٍ » : أى فاقْتَصَدَهَا وانْعَرَجَهَا كائِنَانِ بِمُقْتَصِدٍ

« وَبِمُنْعَرَجٍ » بِكُشْرِ الصَّادِ فى قَوْلِهِ : « فَبِمُقْتَصِدٍ » ، وَالرَّاءُ فى قَوْلِهِ : « وَبِمُنْعَرَجٍ » وَهُوَ العَبْدُ الْمُقْضَى عَلَيْهِ بِهَا ، فَيَصِيرُ بِاقْتِصَادِهَا فى نَظَرِهَا مُقْتَصِدًا ، وَبِانْعَرَجِهَا فِيهِ مُنْعَرَجًا .. كَمَا يَصِيرُ بِاِكْتِمَالِهَا فِيهِ مُكْتَمِلًا ، فَيَتَعَرَّفُ إِلَيْهِ الحَقُّ فى الأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ . فَيَتَعَرَّفُ إِلَيْهِ فى حَالِ اِكْتِمَالِهَا بِاسْمِهِ الجَوَادِ المُنِيعِ الكَرِيمِ العَنِيِّ .. وَفى حَالِ اقْتِصَادِهَا بِاسْمِهِ الحَكِيمِ ، اللَّطِيفِ ، وَفى حَالِ انْعَرَجِهَا بِاسْمِهِ القَاهِرِ ، العَدْلِ الحَكَمِ .

وَتَبَدَّلُ هَذِهِ الأَحْوَالِ مِنْ آثَارِ القَدْرِ الَّذِى اسْتَأْتَرَ اللّهُ بِعِلْمِهِ ، وَأخْفَاهُ عَنِ خَلْقِهِ .. وَالوَاجِبُ تَسْلِيمُ الأَمْرِ لِمَنْ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ، لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، وَأَجْرٌ عَلَى هَذَا باقى مَعَانِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى .

قال ابنُ عطاءِ اللّهِ^(١) : إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَعَرَّفَ إِلَيْهِ الحَقُّ سَبَّحَانَهُ بِالإِيجَادِ فَنَادَاهُ آدَمُ : يا قَدِيمِ . ثُمَّ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ بِتَخْصِيصِ الإِرَادَةِ . فَنَادَاهُ : يا مُرِيدِ . ثُمَّ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ بِحِكْمِهِ ، لَمَّا نَهَاهُ عَنِ أَكْلِ الشَّجَرَةِ ، فَنَادَاهُ : يا حَكِيمِ . ثُمَّ قَضَى عَلَيْهِ بِأَكْلِهَا ، فَنَادَاهُ : يا قَاهِرِ . ثُمَّ لَمَّ يَعاْجِلُهُ بِالعُقُوبَةِ إِذْ أَكَلَهَا ، فَنَادَاهُ : يا حَلِيمِ . ثُمَّ لَمَّ يَفْضَحُهُ فى ذَلِكَ ، فَنَادَاهُ : يا سِتَّارِ . ثُمَّ تابَ عَلَيْهِ ، فَنَادَاهُ : يا تَوَّابِ ، ثُمَّ أَشْهَدُهُ أَنَّ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ لَمْ يَقْطَعْ عَنْهُ

(١) ابن عطاء الله السكندرى . تلميذ أبى العباس المرسى : من أشهر صوفىي زمانه ، ومن أشد خصوم ابن تيمية . توفى سنة ٧٠٧ هـ ، وله من المؤلفات : كتاب « التنوير فى إسقاط التدبير » ، وكتاب « الحكم العطائية » ، وكتاب « لطائف المنن » وغير ذلك .

(طبقات الشعرانى رقم ٣١٢) .

وُدَّهُ ، فناداهُ : يا وُدُّودُ . ثم أنزلهُ إلى الأرضِ ، ويسرَّ له أسباب المَعيشة ، فناداهُ : يا لطيف . ثم قواه على الذي اقتضاهُ منه ، فناداهُ : يا مُعين . ثم أشهدَه سرَّ النَّهي ، والأكلِ ، والنزولِ ، فناداهُ : يا حَكِيم . ثم نصره على العدوِّ الكائد له ، فناداهُ : يا نصير . ثم ساعده على أعباءِ تكاليفِ العبوديةِ ، فناداهُ : يا ظهير . قالَ : فما أنزلهُ إلى الأرضِ إلا ليُكملَ له وجوهَ التعرّفِ ، ويُقيمه في وظائفِ التَّكليفِ ، فكمَلت فيه العبوديتانِ : عبوديةِ التعرّفِ ، وعبوديةِ التَّكليفِ ، فعظمت منه اللهُ عليه ، وتوقَّرَ إحسانه لديه ، بعد أن كان في الجنةِ متعرِّفاً إليه بالرزقِ ، والعطاءِ ، والإحسانِ ، فأرادَ الحقُّ سبحانه من خفيِّ لطفه في تدبيره أن يأكلَ من الشجرةِ ؛ ليتعرّفَ إليه في الأرضِ بما تقدّم ؛ لأنّ الدنيا محلّ الوسائطِ والأسبابِ ، والجنةُ ^(١) محلّ مشاهدَةِ الإنعامِ .

ونبّه التّائِبُ بـ « ثم » على أنّ الانعراجَ مُتراخِ عما قبله في الرُّتبةِ ، لقلّته وكثرةِ ما قبله تفضُّلاً ^(٢) منه تعالى ؛ لأنّ معاملته لخلقه بمقتضى رحمانيته أكثرَ ، ولهذا قالَ تعالى : ﴿ ... عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ... ﴾ ^(٣) .

وقالَ صَلَّى اللهُ عليه وسلّم فيما حكاهُ عن ربّه : « إن رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » ^(٤) . والإنسانُ يعدُّ أيّامَ المحنةِ ، ولا يعدُّ أيّامَ التَّعمّةِ .

(١) في المخطوط : « والأسباب في الجنة » .
 (٢) في المطبوع : « تفضيلاً » بدل : « تفضُّلاً » .
 (٣) سورة الأعراف ، الآية (١٥٦) .
 (٤) رواه البيهقي في (الأسماء والصفات ٣١٩) .

وفى البيت : الطَّبَاق ، والمناسبة اللَّفْظِيَّة بالتقفية وبدونها ، واللَّفَّ
 والتَّنْشُر ، وشبُه الجناس ، وَرَدَّ العَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ .
 والإِزْصَادُ : وهو أَنْ يَجْعَلَ قِبَلَ العَجْزِ مِنَ الفِقْرَةِ أَوْ مِنَ البَيْتِ مَا يَدُلُّ
 عليه إِذَا عُرِفَ الرَّوْيُ ، ومثُه قَوْلُه تَعَالَى : ﴿ ... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ
 كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١) (*).

(١) سورة العنكبوت ، الآية (٤٠) .

تنوع المقدرات الإلهية (*)

فإذا علمت ماتقدم ، فاعلم أن المقدرات الإلهية ، مع كونها كلها فى الواقع صوابا فى كل أمر
 وحال ، فإن الحكمة الربانية تقتضى التناسب التام بينها وبين مواضعها ومتعلقاتها .
 والمواضع فى الجملة لاتخرج عن وسط وطرفين ، ففى المواضع التى يناسبها الاعتدال والتوسط
 تكون المقدرات (مقتصدة) أى متوسطة ، وفى المواضع التى يناسبها الاكتمال ، تكون (مكتملة) فوق
 المتوسطة ، وفى المواضع التى يناسبها الميل عن القصد تكون (منعرجة) دون المتوسطة .
 فلكل موضع تقدير ، ولكل تقدير حكمة وتدبير ، والله بكل شىء محيط ، ومن ذلك التقدير فى
 الأرزاق ، فإنه بالسعة لفريق ، وبالتضييق على فريق ، كما قال الله تعالى : ﴿ ... يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
 يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ... ﴾ [سورة الرعد ، الآية ٢٦] وذلك لأن الحكمة تقتضى السعة فى الموضع الذى
 لا يصلح فيه الضيق ، والتضييق فى الموضع الذى لاتصلح فيه السعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ
 الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نُنزِّلُ بَقْدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ .

[سورة الشورى ، الآية ٢٧]

بل لكل من السعة والتضييق درجات ومراتب ، فقد تقتضى الحكمة فى السعة البسط الكثير على
 عبد ، والوسط على الآخر ، والأدنى على الثالث .
 وكذلك الشأن فى درجات الضيق ومراتبه .

والحاصل : أن المقدرات الإلهية حكيمة فى ذاتها ، وفى مواضعها وتعلقها بالمحكوم عليهم بها فى كل
 حال وشأن ، فعلى العبد أن يكون على يقين من ذلك ، وأن يسلم الأمر كله لله الذى له الأمر والتدبير ،
 تسليم رضا وإذعان وقبول ، وإن جهل الحكمة أو لم يوافق القدر غرضه وهواه .

* * *

١٢ - شَهَدَتْ بِعَجَائِبِهَا حُجَجٌ قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحِجَجِ

« شَهَدَتْ بِعَجَائِبِهَا » : أى الحِكم ، أو أنواعِ المخلوقات .
« حُجَجٌ » بضم الحاءِ : أى أدلّة . كما شَهَدَتْ بِكَمالِ وجودِ صانِعِها .
« قَامَتْ » : أى اسْتَقَامَتْ ، أو دَامَتْ ، أو ظَهَرَتْ ، أو غَلَبَتْ ، وفى
نسخةٍ « فَاقَتْ » « بِالْأَمْرِ » : واحدُ الأمور : أى الشَّانِ ، أو الوَصْفِ ، أو واحدُ
الأوامِرِ ، أى : القَوْلِ الطَّالِبِ لِلْفِعْلِ .. وكلُّ مِنْهَا مُرَاد .
أى قَامَتْ الحُجَجُ بِأَنَّ المؤثِّرَ فى كلِّ أمرٍ هوَ اللهُ تعالى كما هوَ مَقَرَّرٌ
فى مَحَلِّه .

وقيل : المرادُ الشَّانُ أو الوَصْفُ : أى قَامَتْ بِشأنِ الرُّبُوبِيَّةِ أو بوصفِها .
« عَلَى » مَمَرٌ . « الْحِجَجُ » بكسر الحاءِ : أى السنين . وقيل بضمِّها :
أى الأدلّةُ الدَّالّةُ^(١) عَلَى أَنَّ المؤثِّرَ العَقُولُ أو نَحْوِها ، كدليلِ الفلاسِفةِ ،
ودليلِ الطَّبائِعِيِّينَ ، والمنجِّمينَ ، وغيرهم .

وفى كَلامِهِ^(٢) استعارة . إمّا بالتَّبَعِيَّةِ ، بأنَّ شَبّهَ دلالةِ الحِجَجِ فى كَمالِ
وَضوحِها بالشَّهادَةِ ، ثمَّ اسْتَقَى الفِعْلَ مِنْها . وإمّا بالكِنَايَةِ بأنَّ شَبّهَ الحِجَجِ فى
إفادَتِها المَدلولَ بالشَّهودِ ، وأثَبَتْ لَهَا الشَّهادَةَ ، فتشبيهُها بالشَّهودِ^(٣) :
استعارةٌ بالكِنَايَةِ . وإثباتُ الشَّهادَةِ لَهَا^(٤) استعارةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ .

وفى البيتِ : التَّرديدُ ، ورد العَجْزُ عَلَى الصَّدْرِ ، وإنَّ ضَمَّتْ (حاءُ)

(١) فى المخطوط : « الدالة » ساقطة .

(٢) فى المخطوط : « وفى كلامهم » بدل : « وفى كلامه » .

(٣) فى المخطوط : « فتشبيهُه لها بالشهود » إلخ .

(٤) فى المخطوط : « فيكون إثبات الشهادة لها » .

«الحجج» . والجناس المحرف . إن كُسرَت . والتثميم والإيغال (*) .

* * *

دلالة عجائب المقدرات على الوجدانية (*)

في هذه المقدرات الإلهية ، وسائر الشؤون الربانية ، عجائب ، تنطق بوجدانية الخالق ، وإحاطة علمه ، وكمال قدرته : ﴿ تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [سورة الإسراء الآية ٤٤] .

وتشهد بها الأدلة والبراهين القاطعة المتواترة في كل حال :

وفى كلِّ شيءٍ له آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

فإذا عرف المؤمن ذلك ازداد إيمانه ، وقوى بالله يقينه ، وكان من أمره على بصيرة وسداد .

* * *

١٣ - وَرِضًا بِقَضَاءِ اللَّهِ حَجًّا فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ فَعَج

« وَرِضًا بِقَضَاءِ اللَّهِ » تَعَالَى . « حَجًّا » بفتحِ الحاءِ ، معَ فَتْحِ الجِيمِ وكسرها : أى حَقِيقٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ؛ لِيُضَوْنَ بِهِ إِيمَانَهُ وَسَائِرَ طَاعَاتِهِ .
وبكسرها معَ فَتْحِ الجِيمِ : أى عَقْلٌ بِحَذْفِ مُضَافٍ : أى ثَمَرَتِهِ ،
أَوْ جَعْلِهِ العَقْلَ ؛ مَبَالِغَةً ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ لِلسَّعَادَةِ الدِّينِيَّةِ ، وَالدُّنْيَوِيَّةِ . فَجَعَلُهُ
العَقْلَ الَّذِى هُوَ أَشْرَفُ مَا مَنَحَهُ اللهُ الْإِنْسَانَ ^(١) ، وَ « اللَّهُ » عَلَّمَ عَلَى الذَّاتِ
الْوَاجِبِ الوُجُودِ ، الْمُسْتَحَقَّ لِجَمِيعِ الْمُحَامِدِ .

وَ « الْقَضَاءُ » هُوَ : الحُكْمُ بِالْكَلِمَاتِ مُجْمَلَةً فِي الْأَزْلِ ، وَ « الْقَدَرُ »
هُوَ : الحُكْمُ بِوُقُوعِ جَزَائِهَا مَفْصَلَةً فِيمَا لَا يَزَالُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْ
شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ ^(٢) ، وَيَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ
بَعْضِهِمْ : الْقَضَاءُ : إِيجَادُ جَمِيعِ المَخْلُوقَاتِ فِي اللُّوحِ المَحْفُوظِ مُجْمَلَةً .
وَالْقَدَرُ : إِيجَادُهَا فِي الْأَعْيَانِ مَفْصَلَةً . قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ^(٣) : أى فَأَبْرَزَهُ عَلَى مَا سَبَقَ فِي عِلْمِهِ .

وَيَطْلُقُ الْقَضَاءُ : عَلَى الْمُقْضَى . وَمِنْهُ مَا فِي البَحَارَى : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ مِنْ ذَرِكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ ^(٤) » . وَهَذَا لَا يَجِبُ
الرِّضَاءُ بِهِ مُطْلَقًا ، بَلْ إِنْ كَانَ وَاجِبًا كَالْإِيمَانِ وَجَبَ الرِّضَاءُ بِهِ . أَوْ مُنْدُوبًا
نُدَبَ . أَوْ مُبَاهَا أُبِيحَ . أَوْ مَكْرُوهًا ^(٥) كُرِهَ . أَوْ حَرَامًا حُرِّمَ . بِخِلَافِ الْقَضَاءِ
بِالمَعْنَى الْأَوَّلِ يَجِبُ الرِّضَا بِهِ مُطْلَقًا .

فَالْمُقْضَى عَلَيْهِ بِمَعْصِيَةٍ مِنْ كُفْرٍ أَوْ غَيْرِهِ يَحْرُمُ عَلَيْهِ الرِّضَا بِهَا ، مِنْ

(١) فِي المَطْبُوعِ : « أَشْرَفُ مَا مَنَحَهُ الْإِنْسَانَ » بَدَلَ : « مَا مَنَحَهُ اللهُ الْإِنْسَانَ » .

(٢) سُورَةُ الحَجْرِ ، آيَةُ (٢١) . (٣) سُورَةُ الفِرْقَانِ ، آيَةُ (٢) .

(٤) فِي المَطْبُوعِ : « وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ » سَاقِطَةٌ ، وَالحَدِيثُ أَخْرَجَهُ القُرْطُبِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (٢٩١ / ٧) .

(٥) فِي المَطْبُوعِ : « أَوْ مَكْرُوهًا » بَدَلَ : « أَوْ مَكْرُوهًا » .

حيثُ إنَّها مُكْتَسِبَةٌ لَهَا وَمِنْهُيَّ عَنْهَا .. وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرِّضَا بِهَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا خَلَقُ اللَّهُ تَعَالَى وَإِيجَادِهِ ، لِأَنَّهُ مَتَى سَخَطَهَا كَأَنَّ قَالَ : لَمْ فَعَلَ بِي هَذَا ؟ ! ، أَوْ أَنَا لَا أَسْتَحِقُّهُ !! كَانَ ذَلِكَ كُفْرًا أَوْ مَعْصِيَةً أُخْرَى بِحَسَبِ حَالِهِ لَخَبِيرٍ : « إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيَّ بِلَائِي وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَائِي ^(١) فليتخذ إلهًا سِوَايَ » ^(٢) .

وَالرِّضَا قِسْمَانِ : قِسْمٌ يَكُونُ لِكُلِّ مَكْلَفٍ ، فَهُوَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي الْإِيمَانِ .. وَحَقِيقَتُهُ : أَلَّا يَعْتَرِضَ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ . وَهُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ التَّائِبُ بِمَا مَرَّ ، وَقِسْمٌ لَا يَكُونُ إِلَّا لِأَرْبَابِ الْمَقَامَاتِ ، وَذَوِي التَّهَائِيَاتِ . وَحَقِيقَتُهُ : ائْتِهَاجُ الْقَلْبِ وَسُرُورُهُ بِالْمَقْضَى . قَالَتْ رَابِعَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ سئِلَتْ : مَتَى يَكُونُ الْعَبْدُ رَاضِيًا ؟ فَقَالَتْ : إِذَا سَرَّتْهُ الْمُصِيبَةُ كَمَا سَرَّتْهُ التُّعْمَةُ .

وَاخْتَلَفُوا فِي هَذَا : هَلْ هُوَ مِنَ الْمَقَامَاتِ أَوْ مِنَ الْأَحْوَالِ ؟ فَقَالَ أَهْلُ خُرَاسَانَ ^(٣) : بِالْأَوَّلِ ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّهُ مَكْتَسَبٌ لِلْعَبْدِ ، وَهُوَ نِهَايَةُ التَّوَكُّلِ .. وَأَهْلُ الْعِرَاقِ : بِالثَّانِي ، وَلَيْسَ مَكْتَسَبًا بَلْ يَحُلُّ بِالْقَلْبِ كَسَائِرِ الْأَحْوَالِ ^(٤) .

(١) فِي الْمَخْطُوطِ : « وَلَمْ يَشْكُرْ نِعْمَائِي » لَمْ تَذَكَرْ فِي الْأَصْلِ وَإِنَّمَا ذَكَرْتَ فِي الْهَامِشِ نَتِيجَةَ الْمَقَابَلَةِ .

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي (تَارِيخِهِ ١٢٨/٦) .

(٣) خُرَاسَانَ : بِلَادٌ وَاسِعَةٌ ، أَوَّلُ حُدُودِهَا مِمَّا يَلِي الْعِرَاقَ ، وَآخِرُ حُدُودِهَا مِمَّا يَلِي الْهِنْدَ . وَمِنْ أَسْمَاءِ بِلَادِهَا : نَيْسَابُورُ ، وَهَرَاةُ ، وَمَرُو ، وَنَسَا ، وَأَبِيوْرِدُ ، وَسَرْحَسُ . رَاجِعْ : (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ) .

(٤) كَتَبَ فِي هَامِشِ الْمَخْطُوطِ بِخَطِّ مُخَالَفٍ لِلأَصْلِ مَا نَصَّه :

« قِيلَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ : إِنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى ، وَالسَّقَمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الصَّحَّةِ !! فَقَالَ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ . أَمَا أَنَا فَأَقُولُ : مِنْ اتَّكَلَّ عَلَيَّ حَسَنَ اخْتِيَارِ اللَّهِ ، لَمْ يَتَمَنَّ غَيْرَ مَا اخْتَارَ اللَّهُ لَهُ » .

قال بعضهم : ويمكنُ الجمعُ بينهما بأنَّ بِدَايَةَ الرِّضَا مُكْتَسَبَةٌ ، فهوَ مِنَ المَقَامَاتِ ، ونهايتهُ غيرُ مُكْتَسَبَةٌ ، فهوَ مِنَ الأحوَالِ .
وإلى هذا القسم مع التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ المَقَامَاتِ ، وإنَّ القسم الأولُ أساسه .

أشار الناظمُ بقوله : « وَعَلَى مُرْكُورَتِهِ » : أى لآعلى غيرها .
« فَعُجْ » : أى فاعطف . يقال : عَجْتُ البعيرَ أَعُوجُهُ عَوْجًا ومَعَاجًا : إذا عَطَفْتَ رأسه بزمامه .. أى لكوْنِ الرِّضَا حَقِيقًا عَلَى كَلِّ مُؤْمِنٍ أَوْ لكوْنِهِ أَجَلَّ مَطَالِبِهِ ، فاعطفُ عَلَى أَعْلَاهُ وَأَشْرَفِهِ : الَّذِي هُوَ فِي شَرَفِهِ وَمَدَارِ صِحَّةِ الإِيمَانِ عَلَيْهِ ، والتوصلُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَأَسْبَابِهِ كَمُرْكَزِ الدَّائِرَةِ .
وبهذا عُلِمَ أَنَّهُ سَبَبَةُ الرِّضَا بالدَّائِرَةِ ، وَأَعْلَاهُ وَأَشْرَفُهُ بِمُرْكَزِهَا . وَرَشَّحَ هَذِهِ الاستعارة باستعارة « العوج » : الَّذِي هُوَ العطفُ لِلطَّلَبِ الكَائِنِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ والأسباب .

وفى البيت : المناسبةُ اللَّفْظِيَّةُ مِنْ « رِضَا » وَ« حِجَا » بِوَرْنِهِ ، وَالاتِّسَاعُ : وَهُوَ أَنَّ يَأْتِي الشَّاعِرُ بِبَيْتٍ يَتَّسِعُ فِيهِ التَّأْوِيلُ (*) .

= « ذكر الإمام أبو القاسم القشيري أن موسى عليه السلام قال : اللهم ذلني على عمل إذا عملته رضيت علي . فقال يابن عمران ، إنك لا تطيق ذلك ، فخر موسى ساجدًا متفرغًا . فقال : يا ابن عمران ، رضاي في رضاك بقضائي » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضى الله عنه : « ليقل هُكَّ .. ما قدر يكن . ومالم ترزق لم يأتك » . شارح بصروى .

معنى الرِّضَا بالقضاء (*)

تقدم فى شرح البيت الثالث (٣) أن الرضا بقضاء الله وقدره يطلق بمعنى : عدم السخط .
= والاعتراض عليه حلوا كان أو مرًا ، وأن ذلك ضرورى ، لتحقيق الإيمان .

= ويطلق بمعنى : الابتهاج والمسرة كيفما كان .. وهو المراد هنا .
وهو معنى قولهم : « الرضا إخراج كل كراهية للقضا من القلب ، حتى لا يكون فيه إلا الفرح
والسرور به .

أو هو سرور القلب بثمر القضاء كحلوه .

أو هو استقبال الأحكام الإلهية بالفرح .

سئلت رابعة العدوية : متى يكون العبد راضياً ؟

فقلت : إذا سرتَه المصيبة كما تسره النعمة .

وقال بعض السلف : لو قرض جسمي بالمقاريض لكان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاءه الله
تعالى ، ليته لم يقضه .

والرضا بهذا المعنى : مرتبة أعلى ، ودرجة أرفع ، من الرضا بالمعنى الأول ، لا يبلغها إلا أرباب

المقامات ، وذوو النهايات . والمجدير بالعارف أن يكون لها طالباً ، إذ هي سنام الرضا وذروته .

* * *

أما القضاء : فيطلق تارة على الحكم الإلهي ، وهو فعله تعالى ، وتارة على نفس الأمر المقضى ، ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم : « نعوذ بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء » ، وهو بهذا
المعنى منه ما هو مرضى مأمور به كالإيمان والطاعات ، ومنه ما هو مكروه ومنهى عنه كالكفر
والمعاصي ، والكل مخلوق له تعالى واقع بإرادته ، إذ ثبت بالدليل القطعي أنه لا يقع في ملكه
إلا ما يشاء .

والرضا بالنوع الأول ، واجب ، وبالثاني ، محرم . قال الله تعالى : ﴿ ... أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ

إِلَّا إِيَّاهُ ... ﴾ [سورة يوسف ، الآية ٤٠]

قال حجة الإسلام الغزالي : « إن الشر والخير داخلان في المشيئة والإرادة .. ولكن الشر مراد

مكروه . والخير مراد مرضى به » .

* * *

١٤ - وَإِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدَى فَاغْجَلْ لِخَزَائِنِهَا وَلِج

« وَإِذَا انْفَتَحَتْ » لَكَ « أَبْوَابُ هُدَى » : أَى الْهُدَى . بَأَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ فِيكَ « فَاغْجَلْ » : أَى فَاَسْرِعْ « لِخَزَائِنِهَا » جَمْعُ : خِزَانَةٍ بِكُشْرِ الْخَاءِ « وَلِج » : أَى ادْخُلْ .

فِيهَا اسْتِعَارَ الْانْفِتَاحَ لِارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ الْحَسِيَّةِ ، وَانْكَشَافِ الْحُجُبِ النَّفْسِيَّةِ ، وَزَوَالِ الْعَلَائِقِ الْمَعْنَوِيَّةِ ، الْمَانِعَةِ مِنْ نَيْلِ الْمَقَامَاتِ وَالْمَعَارِفِ .
وَاسْتِعَارَ الْأَبْوَابَ لِتِلْكَ الْمَوَانِعِ وَالْحُجُبِ وَالْعَلَائِقِ ؛ لِأَنَّهَا مَانِعَةٌ مِنَ الْهُدَى فَلَا يَخْضُلُ فِي مَحَلِّهِ إِلَّا بِزَوَالِهَا كَالْأَبْوَابِ لَا يَتَوَصَّلُ إِلَى مَا وَرَائِهَا إِلَّا بِفَتْحِهَا .

وَالْعَجَلَةُ : كِنَايَةٌ عَنِ الْجَدِّ فِي الطَّلَبِ وَقُوَّةِ الْعَزْمِ وَمِجَازٌ عَنْهُمَا .

وَالْوُلُوجُ : كِنَايَةٌ عَنِ الثَّبُوتِ فِي تِلْكَ الْمَقَامَاتِ وَالْمَعَارِفِ .

وَالْحَاصِلُ : أَنَّهُ شَبَّهَ فِي الصَّدْرِ الْهُدَى الْمُتَضَمَّنَ لِمَا اكْتَسَبَهُ الْعَبْدُ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَالْمَعَارِفِ بِخَزَائِنَ لَهَا أَبْوَابٌ مَعْلُوقَةٌ ، بِجَمَاعٍ أَنَّ الْمَشَبَّهَ مِثْلُهُ لِلْقُرْبِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مَطْلُوبٍ ، وَالْمَشَبَّهُ بِهِ مَحَلٌّ لِلْأَمْوَالِ النَّفْسِيَّةِ ، فَالتَّشْبِيهُ : اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ . وَإِثْبَاتُ الْأَبْوَابِ لِلهُدَى : اسْتِعَارَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ وَرَشْحُهُمَا بِالْانْفِتَاحِ الْمَلَائِمِ لِلْأَبْوَابِ ، ثُمَّ اسْتَقَّ مِنْهُ الْفِعْلُ ، فَهُوَ اسْتِعَارَةٌ تَبْعِيَّةٌ ، ثُمَّ رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْعَجْزَ كَمَا تَقَرَّرَ .

وَتَضَمَّنَ كَلَامُهُ التَّنْبِيهَ عَلَى أَصْلِ عَظِيمٍ فِي السَّلُوكِ ، وَهُوَ مُخَالَفَةُ النَّفْسِ فِي شَهَوَاتِهَا ، وَالتَّحَقُّقَ بِمَا ذُكِرَ ؛ لِأَنَّ طَبْعَهَا الْمَيْلُ إِلَى تَرْكِ الْعِبَادَةِ ، وَإِلَى حِظِّهَا مِنْ فِعْلِهَا ؛ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : مُخَالَفَةُ النَّفْسِ رَأْسُ الْعِبَادَةِ ، وَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا بِاسْتِحْسَانٍ شَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَهْلَكَهَا بِمَهْلِكَاتِهَا ، كَالْكِبْرِ ، وَالْعُجْبِ ، وَالْحَسَدِ ، وَطُولِ الْأَمَلِ .

وكيف يصح لعاقِل الرضا عن النفس والله تعالى يقول : ﴿ ... إِنَّ
النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ... ﴾ (١).

و « الهُدَى » : قد يكونُ لازماً بمعنى الاهتداء ، وهو : وجدان الطريق
الموصل للمطلوب ، كما مرّت الإشارةُ إليه .

ويقابله « الضلال » : وهو فقدانُ الطريقِ الموصل .. وقد يكونُ متعدّياً
بمعنى الدلالة على الطريقِ عن أهلِ الحقِّ ، وعلى الطريقِ الموصل للبغيّة عند
المعتزلة .

ويقابله « الإضلال » بمعنى : الدلالة على خلافه كأضلّني فلانٌ عن
الطريق ، أو عن الطريقِ الموصل للبغيّة . و « الهُدَى » : إنما يُستعمل في الخيرِ ،
لأنه لغةٌ : الدلالة بلطف .

وأما قوله تعالى : ﴿ ... فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) فوارِدٌ على
طريقِ التّهكّم (*).

(١) سورة يوسف ، الآية (٥٣) . (٢) سورة الصافات ، الآية (٢٣) .

المبادرة إلى أبواب الهدى وخزائنه (*)

وإذا تحققت بمقام الرضا بالقضاء في المحبوب والمكروه على السواء ، وانقشعت عن نفسك
الحجب ، وزالت العوائق المانعة لها عن نيل المقامات السنية ، والمعارف الربانية ، وانفتحت لك أبواب
الهداية ، فأسرع بالدخول بعزم وجدّ وثبات ؛ لتنال من خزائنها ما به تنعم وتسعد . وإياك والإبطاء ،
والتسويف ، فإنه قد يهجم عليك الموت ، ويحصل الفوت ، فتحرم الخير وتندم ولات حين مندم !

مجاهدة النفس والشيطان

وإذا كان من أقوى العوائق عن بلوغ هذه المقامات والمعارف : نفسك الأمارّة بالسوء ، إذا تركتها
سائمة في مراتع الشهوات ، راتعة في مباءة اللذات ، وانقادت إليها فيما تزينه من الهلّكات ، =

وفى البيت : التمكين : وهو أن يمهد الناثر لسجّته ، والتأظّم لقايفيته
تمهيداً به يأتى بكلّ منها مُتمكّنةً فى مكانها ، غير نافرة ، ولا قلقة ،
ولا مُستدعاةٍ لما لا تعلق له بالفقرة أو البيت .

* * *

= فاحرص كل الحرص على كبح جماحها ، وعصيان أمرها ، ومخالفة هواها ، وحاذرها ، وجاهدها ،
وذلك هو الجهاد الأكبر ، وهو باب من أبواب الهدى ، بل هو رأس العبادات ، ومفتاح العادات . قال
الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

[سورة النازعات ، الآيات ٤٠ ، ٤١]

وقال صلى الله عليه وسلم : « أخوف ما أخاف على أمتى : اتباع الهوى ، وطول الأمل ؛ فأما
اتباع الهوى فيصدّ عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة » .
(إتحاف السادة المتقين ٢٣٨/١) .

وقال سهل بن عبد الله : « ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى » .
وقال الجنيد : « النفس الأمانة بالسوء هى الداعية إلى التهلكة ، المعينة للأعداء ، المتبعة للهوى ،
المهتمة بأصناف السوء » .

وكذلك من أقوى العوائق على بلوغ تلك الغايات : اتباع خطوات الشيطان ، ووساوسه ، وآثاره ،
ودسائسه ، فإنه كما ورد ليجرى من ابن آدم مجرى الدم ، وينكت فى قلبه نكتة سوداء ، فيضله
ويغويه ، وبالشهوات والمفاتن يغيره ، فيهلكه ويرديه إلا من عصمه الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ .

[سورة النور ، الآية ٢١]

وفى الآيات والأحاديث من التحذير منه ومن فتنته ما لا يحصى ، فاحرص على مخالفته ،
ومراغمته ، وطرده ، والاستعاذة بالله من شره وكيدهِ والله يتولى هداك .

* * *

١٥ - وَإِذَا حَاوَلْتَ نِهَآئَتَهَا فَاخْذِرْ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْعَرَجِ

« وَإِذَا حَاوَلْتَ » : أى طَلَبْتَ « نِهَآئَتَهَا » : أى الأَبْوَابَ ، أو الهُدَى ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ ، ولأَنَّهُ بِمَعْنَى الخِزَانَةِ .

والمعنى : إِذَا طَلَبْتَ الانتقالَ إِلَى مَقَامٍ أَوْ حَالٍ ^(١) « فَاخْذِرْ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْعَرَجِ » : أى فَالْتَرَمِ فِيهِ حُسْنَ الأَدَبِ مِنَ الثَّبَاتِ عَلَيْهِ ، وَمَوَافَقَةِ مُرَادِ اللّهِ تَعَالَى ، وَلَا تَحْتَرِ الانتقالَ عَنْهُ ، حَتَّى يَنْقُلَكَ اللّهُ إِلَى مَا هُوَ أَزْفَعُ مِنْهُ ، فَإِنْ تَشَوَّقْتَ إِلَى الانتقالِ بِنَفْسِكَ ؛ لِتَبْلُغَ الغَايَةَ فَقَدْ بَلَغْتَ غَايَةَ الجَهْلِ بِرَبِّكَ وَأَسَأْتَ الأَدَبَ فِي حَقِّهِ وَلَا تَصِلُ إِلَى مَطْلُوبِكَ فَكُنْ كَمَا قَالَ ابْنُ عَطَاءٍ اللّهُ : « كُنْ عَبْدَ اللّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ : عَطَاءً ، وَمَنْعًا ، وَعِزًّا ، وَذُلًّا ، وَوَلَايَةً ، وَعِزْلًا ، وَغِنًا ، وَفَقْرًا ، وَقَبْضًا ، وَبَسْطًا ، وَفَقْدًا ، وَوَجْدًا ، وَشِدَّةً ، وَرِخَاءً ، وَفَنَاءً ، وَبِقَاءً ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَخْتَلَفَاتِ الأَثَارِ وَتَنْقَلَاتِ الأَعْيَارِ » .

وكنى عَنْ عَدَمِ الوُصُولِ بِـ « الْعَرَجِ » أَوْ شَبَّهَ بِهِ عَدَمَ دَوَامِ الاستِقَامَةِ ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا لَا يُوَصِّلُ مَعَهُ إِلَى مَقْصِدٍ ، قَرِيبًا ، أَوْ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ البَتَّةَ .
وَتَضَمَّنَ كَلَامُهُ مَعَ ذِكْرِ التَّحْذِيرِ مِنْ حُظُوظِ النَفْسِ ، وَمِنْ التَّحْذِيرِ :

(١) المقامات : هى المنازل الروحية التى يَمُرُّ بها السالك إلى الله ، فيقف فيها فترة من الزمن مجاهدًا فى إطارها ، حتى يهيبى الله سبحانه وتعالى له سلوك الطريق إلى المنزل الثانى ؛ لكى يندرج فى الشُّمُورِ الروحى ، من شريف إلى أشرف .. وذلك مثلًا كمنزل « التوبة » الذى يهيبى إلى منزل « الورع » ، ومنزل « الورع » يهيبى إلى منزل « الزهد » وهكذا حتى يصل الإنسان إلى منزل « المحبة » وإلى منزل « الرضا » .

إنها اجتهاد فى الطاعة ، ومواصلة فى التسامى ، فى تحقيق العبودية لله سبحانه .
أما الأحوال : فإنها النسمات الروحية التى تهب على السالك ، فتتعش بها نفسه لحظات خاطفة ، ثم تمر تاركة عطرًا تتشوق الروح للعودة إلى تنسم أريجها . وذلك مثل : الأُنس بالله .
انظر : (الدكتور عبد الحليم محمود فى قضية التصوف ٤٨ ، ٤٩) .

الرُّكُونُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ فِي أَثْنَاءِ السُّلُوكِ . قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ التَّشْتَرِيُّ (١) :
وَلَا تَلْتَفِتْ (٢) فِي السَّيْرِ غَيْرًا فَكُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ غَيْرٍ وَاتَّخِذْ ذِكْرَهُ حِصْنًا
وَكُلُّ مَقَامٍ لَا نُقِيمُ فِيهِ إِنَّهُ حِجَابٌ فَجِدِّ السَّيْرِ وَاسْتَنْجِدِ الْعَوْنَا
وَمَهْمَا تَرَى كُلَّ الْمَرَاتِبِ تَجْتَلِي عَلَيْكَ فَحُلِّ عَنْهَا فَعَنْ مِثْلِهَا حُلْنَا
وَقُلْ لَيْسَ لِي فِي غَيْرِ ذَاتِكَ (٣) مَطْلَبٌ فَلَا صُورَةَ تَجَلِي وَلَا طُرْفَةَ تُجَنِّي

ثم علل قوله : « فاحذر » إلى آخره بقوله :

(١) نسبة إلى تشتر : مدينة في إيران (عربستان) مركز تجارى مهم . سكانها شيعيون من العرب
والإيرانيين ، من شدة ورعهم سميت بلدهم بـ (دار المؤمنين) .
(٢) فى المخطوط : « فلا تلتفت » ، وفى المطبوع : « ولا تلتف » .
(٣) فى المخطوط : « فى غير ذلك » بدل : « فى غير ذاتك » .

١٦ - لِتَكُونَ مِنَ السُّبَّاقِ إِذَا مَا جِئْتَ إِلَى تِلْكَ الْفُرَجِ

« لتكون من السباق » إلى فُرَجِ الجنة « إذا ما » [ما] زائدة للتأكيد (١) « جِئْتَ » معَهُمْ « إلى تِلْكَ الْفُرَجِ » أرادَ بالمجىءِ : السير . لا تُنْقَلُ الأقدام ، بل يَنْظُرُ القلب .

فشبهه النظر في المعقولات الموصلة إلى المطلوب بالمجىء الحسى ، وشبهه المنظور فيه — وهو المعقولات — بالأمكنة ؛ لأنها محلّ حركة النظر ، كما أنّ تِلْكَ الأمكنة محلّ لحركة الأقدام .. وأطلق اسم المشبه به على المشبه ، على طريق الاستعارة التحقيقية و « إلى » متعلّق بالسُّبَّاق ، فإن وصلت إلى تِلْكَ الْفُرَجِ (*) .

* * *

(١) في المخطوط : « زائدة للتأكيد » ساقطة .

وجوب رضا العبد بما أقيم فيه (*)

أى : إذا ولجت أبواب الهدى ، وبلغت ما قدر لك ، من تلك الأحوال السنية ، والمقامات العلية ، فاثبت فيما أقامك الله فيه ، فإنه مراده تعالى منك ، واحذر أن تختار لنفسك الانتقال عنه إلى حال أو مقام آخر أرفع منه حتى ينقلك الله إليه ؛ فإنك إذا اخترت لنفسك ، ولم ترض بما أقامك الله فيه ، وآثرت اختيارك على اختيار الله .. فقد أسأت الأدب مع ربك ، وخرمت الوصول إلى مطلوبك . قال ابن عطاء الله : « كن عبد الله في كل شيء : عطاءً ومنعاً ، وفقدًا ووجدًا ، وفناءً وبقاءً ، إلى غير ذلك من مختلفات الآثار وتنقلات الأغيار » .

فإذا حذرت ذلك تكون من السابقين إلى فُرَجِ الجنة .

فإن قيل : هل طمّعت العبد فيما عند مولاه من رفيع الدرجات .. ورجاؤه في نيل الأعلى من المقامات ، يُعدّ من إساءة الأدب مع مولاه ؟

فالجواب : كلا بل ذلك يحمد منه إذا خلا عن رعونة النفس وحظوظها ، وخلصت النية فيه لله تعالى .. مع الرضا بما أقامه الله فيه ، وعدم التبرم به ، والتسليم له تعالى في الأمر كله ، بحيث إذا أبقاه في مقامه هذا ، ولم ينقله عنه إلى مقام آخر أكمل ، رضى به وحمد الله عليه ، وشكر له منته .. فالمدار على تجرّد العبد في ذلك عن الرعونات والحظوظ والشهوات ، وعلى الإخلاص في النيات لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فيطلب الأعلى للمزيد من القرب والرضا . مع الرضا بما أقيم فيه إذا لم ينقل عنه والله أعلم . انظر : (شرح البيت رقم ٣١) والتعليق عليه .

١٧ - فَهْنَاكَ الْعَيْشُ وَبَهَجْتُهُ فَلِمُبْتَهَجٍ وَلِمُنْتَهَجٍ

« فَهْنَاكَ » : أى لا فى غيره . « الْعَيْشُ وَبَهَجْتُهُ » : أى الحياة الكاملة وحسنها .
 « فَلِمُبْتَهَجٍ » : أى مشرور بما حصل له من لذة التجلى على اختلاف رتبها .
 « وَلِمُنْتَهَجٍ » : من النهج ، وهو : الطريق . واستعير للتقوى . فالمراد :
 ولمنتهى . وانتهاجه بانتقاله فعلاً وحالاً فى معانى التقوى الظاهرة والباطنة
 الموصلة إلى صفو اليقين الموجب للابتهاج : أى فاعجبوا لهذين الصفتين
 العظيمتين من بين الناس ؛ لأن ما عداهما إما هالك ، أو فى الخطر ..
 والتنوين فيها للتعظيم ، والتنوين .

ولما اختلفا فى المقام اختلفا فى التعبير عما فى الضمير ، فالمبتهج
 يقول : مخبراً بدوقه :

ذَكَرْتُكَ إِنِّي لَا نَسِيْتُكَ لَمَحَةً وَأَيْسَرَ مَا فِي الذِّكْرِ ذَكَرَ لِسَانِي
 وَكَدْتُ بِلَا وَجْهِ أُمُوتٍ مِنَ الْهَوَىٰ وَهَامَ عَلَى الْقَلْبِ بِالْحَقَّقَانِ
 فَلَمَّا أَرَانِي الْوَجْدَ أَنَّكَ حَاضِرٌ شَهْدُكَ مُوجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ
 فَخَاطَبْتُ مُوجُودًا بَعْدَ تَكَلُّمٍ وَلَا حَظُّتُ مَعْلُومًا بَعْدَ عِيَانِ
 وَالْمُنْتَهَجُ يَقُولُ مَخْبِرًا عَنِ حَالِ سَيْرِهِ وَمَجَاهِدَةً نَفْسِهِ بِمِرَاقَبَةِ رَبِّهِ :

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ .. بَزَعَى خَوَاطِرِي وَأَخْرَعَ يَزْعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي
 فَمَا رَمَقَتْ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مِنْظَرًا لَغَيْرِكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي
 وَلَا خَطَرْتُ فِي السَّرِّ مِنِّْي خَطَرَةً لَغَيْرِكَ إِلَّا عَرَجَا بَعْنَانِي
 وَإِخْوَانِ صِدْقِي قَدْ بَنَيْتُ حَدِيثَهُمْ وَعَرَجْتُ عَنْهُمْ خَاطِرِي وَلِسَانِي
 وَمَا الدَّهْرُ أَسْلُو^(١) عَنْهُمْ غَيْرَ أَنِّي وَجَدْتُكَ مَشْهُودًا^(٢) بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) فى المطبوع : « وما الوهم أسلى » بدل : « وما الدهر أسلو » .

(٢) فى المطبوع : « مشهودى » بدل : « مشهودًا » .

واعلم أنّ كلَّ مَنْ وصلَ إلى صفوِّ اليقينِ بطريقِ الذُّوقِ والوجدانِ ، فهو ذو رُتَبَةٍ في الوُصولِ وإنْ تَفَاوَتْوا فِيهَا : كالملائكةِ ، فمنهم مَنْ يَجِدُ اللهَ بطريقِ الأفعالِ فيفنى عَن فِعْله وفِعْله غَيْرِه ؛ لوقُوفِه مع فِعْلي اللهِ تعالى .. ويخرج في هذِهِ الحَالَةِ من التَّدْبِيرِ والاختِيَارِ ، وهذا تجلَّى ^(١) بطريقِ الأفعالِ ، ومنهم مَنْ يوقِفُ في مقامِ الهيبةِ والأنسِ بما يكلفُ قلبه مِنْ مُطَالَعَةِ الجمالِ والجلالِ ، وهذا تجلَّى بطريقِ الصِّفا ، ومنهم مَنْ يترقَّى إلى مقامِ الفناءِ مُشْتَمِلًا على باطنِهِ أنوارِ اليقينِ والمشاهدةِ ففنى في شُهوْدِهِ عَن وُجُودِهِ . وهذا ضربٌ مِنْ تجلَّى الذاتِ لخواصِّ المقرِّبين .

والمقرِّبون : همُ الَّذِينَ أخذوا حُظوظَهم ، وإراداتهم ، واستعملوا في القيامِ بِحقوقِ مؤلَّاهم عبوديَّةً له وطلبًا لمَرْضَاتِهِ ، وهم العارِفُونَ ، أهلُ صفوِّ اليقينِ ، وإليهم أشارَ التَّائِمُ « بالمتَّهَجِ » .

والأبرار : همُ الَّذِينَ بقوا مع حُظوظِهم وإراداتهم ، وأقيموها في الأعمالِ الصَّالِحَةِ ومُقاماتِ اليقينِ ليجزوا على مجاهدتهم برفيعِ الدَّرجاتِ ، وهم الزاهدون . وإليهم أشارَ « بالمنتَّهَجِ » .

ومع الأحوالِ المذكورةِ يَنْبَغِي للعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إلى شَيْءٍ ! فأينَ الوُصولُ !؟ هيهات ! أولاً ترى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَانَ يَسْتَغْفِرُ في اليَوْمِ مئةَ مَرَّةٍ ^(٢) » ، واستغْفارُهُ إِنَّمَا هُوَ بِحَسَبِ اخْتِلافِ رُتَبِ التَّجَلَّى لَهُ ، حتَّى يرى أَنَّ كلَّ تجلَّى بالنسبةِ إلى ما فَوْقَهُ موجبٌ للاستغْفارِ ، ولذَلِكَ قال : « لا أَحْصِي ثناءً عَلَيْكَ ، أَنْتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ » ^(٣) .

(١) في المطبوع : « تحل » بدل « تجلَّى » . (٢) أخرجه مسلم في الذكر رقم (٤١) .

(٣) رواه أحمد (٩٦/١ ، ١١٨) .

وفى البيت : الجناس اللاحق ، والازدواج ، وشبه الجناس ، ورد العجز ،
على الصدر ، والمناسبة اللفظية ، والطباق .
وإذ ثبت أن العيش الكامل وبهجتة فى الجنة ، ومن المعلوم أنه لا يحصل
ذلك عادةً إلا بالأعمال الصالحة (*) .

* * *

بهجة العيش للمبتهجين والمنتهجين (*)

أى : فإن بلغت تلك الفرج السنية ، وحللت دار المقامة العلية ، فهناك الحياة الطيبة النضرة الدائمة
للعارفين ﴿ ... وَإِنَّ الْأَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية ٦٤] .
وهم فريقان :

١ - المبتهجون المسرورون بما ذاقوا من لذائذ التجلى والشهود : وهم المقربون . أهل صفو اليقين ،
الذين قاموا بحقوق مولاهم ، عبودية ، وطلباً لمرضاته ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ *
فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة ، الآيتان ٨٨ ، ٨٩] .

٢ - المنتهجون طريق التقوى ، والمتقلبون فعلاً وحالاً فى معانيها الظاهرة والباطنة ، الموصلة إلى
صفو اليقين ، الموجب لذلك الابتهاج : وهم الأبرار الزهاد الذين أقيموا فى الأعمال الصالحة ، ومقامات
اليقين ؛ ليجزوا على مجاهدتهم رفيع الدرجات .

وما سوى هذين الفريقين لاحظ لهم فى ذلك العيش النهيج ، بل هم إما هلكى أو فى خطر عظيم ،
فاحرص كل الحرص على أن تكون أحد ذينك الفريقين . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ *
عَلَى الْأَرْزَاقِ يُنظَرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيْقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِرَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يُشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ .

[سورة المطففين ، الآيات ٢٢ - ٢٨]

* * *

١٨ - فَهَجِ الْأَعْمَالَ إِذَا رَكَدَتْ فَإِذَا مَا هَجَتْ إِذَا تَهَجَّ

« فَهَجِ الْأَعْمَالَ » ، وفي نُسخة : « وَهَجَّ » بالواو . ويقال : هاج فلان الشيء هيجًا ، وهيجًا ، وهيجانًا : إذا أثاره وحركه .
 وهاج الشيء : إذا أثاره وتحرك .. يتعدى ولا يتعدى .. وقد استعملها^(١) التاظم : أى أثر الأعمال وحركتها والمعنى : أدمنها .
 « إِذَا رَكَدَتْ » : أى سَكَتَتْ . والمراد ، قلت : « لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً »^(٢) .
 ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيَّ اللَّهُ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ »^(٣) .

« فَإِذَا مَا » [ما]^(٤) زائدة للتأكيد . « هَجَتْ » : أى أَدَمَّتْ الْأَعْمَالَ .
 « إِذَا » بالتونين ، أى : حين إذ قلت . « تَهَجَّ » : أى تَدَمَّ .
 وفي البيت : الطباق : ورد العجز على الصدر ، والترديد ، وشبه الجناس ، والجناس اللاحق .

والإرصاد والتعطف^(٥) : وهو أن تعلق لفظًا ، أو تصرف منها بمعنى فى الصدر ، ثم بمعنى آخر فيما سوى الضرب من العجز .. وهو هنا فى

(١) فى المطبوع : « استعملها » بدل : « استعملهما » .

(٢) البخارى (٥٥/٣) ، ومسلم فى المسافرين (١٣٩ - ٢٢١) .

(٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته وروايته : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » ، وقال : صحيح عن عائشة رضى الله عنها . وأخرجه البخارى فى التهجد (٧) ، ومسلم فى المسافرين (١٣١) .

(٤) يقتضيه السياق .

(٥) التعطف : هو ما يعرف فى علم المعانى بـ « الترديد » أيضًا ، وهو : أن يعلق الشاعر لفظه فى البيت بمعنى ، ثم يردها بعينها ، أو يعلقها بمعنى آخر ، كقوله :

مَنْ يَلْقَ يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا يَلْقَ السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالتَّدَى خُلُقًا

انظر : (الكافى فى العروض والقوافى ١٩١ ، ١٩٢) .

« هنج » و « هجت » فشبه المصراعين في انعطاف أحدهما على الآخر بالعطفين في كون كل منهما^(١) يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر .
والتخلص : وهو الخروج مما شيب الكلام به إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما .

والناظم قد شيب كلامه أولاً بذكر أحوال أهل الثورانيات من المُبتَهجين والمنتَهجين ، ثم ختمه بالإشارة إلى الوصول ، ثم حصّهم على دوام الأعمال ، ثم خرج من ذلك إلى ذكر أحوال أهل البدايات مع رعاية الملاءمة بينهما من حيث أن هؤلاء يُخاطَبون بائتياء الأعمال ، وأولئك بدوامها^(*) .

ثم أشار إلى مقام التوبة بتقبيح المعصية فقال :

(١) في المطبوع : « منها » بدل : « منهما » تحريف .

وُجوب المثابرة على الأعمال الصالحة^(*)

وإذا علمت أن العيش الرغيد النضر لذينك الفريقين إنما هو في الجنة ، ومعلوم أن سبيله الأعمال الصالحة ، فأكثر منها قدر الطاقة ، ولا تركز إلى الدعة والراحة منها ، فقد يقضي ذلك إلى تركها ، فإذا شعرت من نفسك بالميل إلى ذلك ، فبادرها بالجد في العمل والمثابرة عليه ، وذكرها غاية ، وما يترتب عليه من الملك العظيم والنعيم المقيم ، فعند ذلك تهيج وتنشط ، حتى يصبح ذلك ديدنها وعادتها ، بحيث تستأنس به ، وتستوحش من تركه ، وإن لم تفعل ذلك كان نصيبك الحرمان من ذلك النعيم .
وقد ورد : « إن الله لا يميل حتى تملوا » [البخارى ٦٨/٢] ، وكان أحب الدين إلى الله ما داوم عليه صاحبه فانشط للعبادة ، واعمل بقدر الطاقة ، حتى لا تملها ، وتجد الراحة في تركها .
والراحة من الأعمال في الأولى - عناء وتعب في الآخرة ، والطاقة في الناس مختلفة جداً ، فقد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل حتى تتفطر قدما » . (الترغيب ٤٢٦/١) .
وكان الإمام عليّ زين العابدين رضى الله عنه يصلى في اليوم والليلة ألف ركعة .
فإذا كنت لا تطيق ذلك ، فاعمل قدر طاقتك بالطاعات وثابر عليها ، والله الموفق .

١٩ - وَمَعَاصِي اللَّهِ سَمَاجَتْهَا تَزْدَانُ لِذِي الْخُلُقِ السَّمِجِ

« وَمَعَاصِي اللَّهِ » تعالی « سَمَاجَتْهَا » مِنْ سَمَجٍ بِالضَّمِّ : أَى قَبِيحٌ .
« تَزْدَانُ » : أَى تَتَزَيَّنُ ، وَتَحْسُنُ . « لِذِي الْخُلُقِ » بِضَمِّ الْخَاءِ وَاللَّامِ :
مَا طَبِعَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ بِلَا تَكَلُّفٍ كَالكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ .
« السَّمِجِ » : أَى الْقَبِيحِ ^(١) . وَ « سَمَاجَتْهَا » بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الْمُبْتَدَأِ
قَبْلَهُ ، أَوْ مَبْتَدَأٌ : خَبَرَهُ « تَزْدَانُ » وَهُوَ مَعَ خَبَرِهِ خَبَرُ الْأَوَّلِ .
وَ « تَزْدَانُ » : أَصْلُهُ تَزْتَيِّنُ بوزنٍ تَفْتَعِلُ ، مِنَ الزَّيْنِ . تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ ،
وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قَلْبَتْ أَلْفًا ، وَوَقَعَتْ (تَاءُ الْاِفْتَعَالِ) وَهِيَ مِنَ الْحُرُوفِ الرَّخْوَةِ
بَعْدَ الزَّايِ الشَّدِيدَةِ فَتَنَافَرَتَا ، فَأُبْدِلَ مِنَ التَّاءِ دَالًّا ، وَأُبْقِيَتْ بِحَالِهَا . وَيَجُوزُ
قَلْبُهَا زَايًا ، وَإِذْغَامُهَا فِي الزَّايِ قَبْلَهَا ^(٢) ، وَيَجُوزُ قَلْبُ الزَّايِ دَالًّا وَإِذْغَامُهَا فِي
الدَّالِّ الْمُبْدَلَةِ .

وفى البيت : الطباق وردّ العجز على الصدر .
ثم أشار إلى تزغيب ذوى النهايات فى مداومة الأعمال فى الطاعة
وقال :

(١) يقول : إن المعاصى قبيحة مردولة ، وفاحشة ممقوتة ، لا يستحسنها ويميل إليها إلا ذو الطباع
السقيمة ، والأخلاق الرديئة ، فيجب التوبة منها ، والإقلاع عنها ، والندم على وقوعها ، والعزم على
عدم اقترافها .

(٢) فى المطبوع : « قلبها » بدل : « قلبها » تحريف .

٢٠ - وَلَطَاعَتِهِ وَصَبَاحَتِهَا أَنْوَارُ صَبَاحِ مُنْبَلَجٍ

« لَطَاعَتِهِ » : أى طاعة الله . وصَبَاحَتِهَا : أى جمالها .

« أَنْوَارُ صَبَاحِ مُنْبَلَجٍ » : أى أضواء ظاهرة ظهور ضوء الصبح الواضح .

وبها تذهب ظلمات الجهل عن القلب ، وظلمات القلب عن الروح ، ويفوز المطيع بالهناء من النعيم الذى منه النظر إلى وجهه الكريم .

والطاعة : غير القربة ، والعبادة ؛ لأنها امتثال الأمر والنهى .

والقربة : ما تقرب به . بشرط معرفة المتقرب إليه .

والعبادة : ما تعبد به . بشرط النية فى معرفة المعبود .

فالتطاعة توجد بدونها فى النظر المؤدى إلى معرفة الله تعالى ، إذ معرفته إنما تحصل بتمام التور .. والقربة توجد بدون العبادة فى القرب التى لا تحتاج إلى نية ، كالعتق ، والوقف .

وظاهر كلامه : أن للطاعة أنوارًا ، وإن كان المطيع فاسقًا ! وهو كذلك ، قال ابن عطاء الله : ويكفى فى تعظيم المؤمنين ، ولو كانوا عن الله غافلين قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ... ﴾ الآية (١) .

أثبت لهم الاضطفاء بالإيمان ، وإن كانوا ظالمين (٢) (*) .

(١) سورة فاطر ، الآية (٣٢) :

الآية : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ .

(٢) رغب فى طاعة الله إذ أنها شكر للنعم وإقرار بالنعمة ، فقال : إن الطاعة جميلة مستحسنة ، يعشقها ذوو الطباع السليمة والأخلاق القويمة .

التوبة من المعاصى والتزغيب فى الطاعات (*)

أشار الناظم بعد ذكر مقامات ذوى النهايات إلى أول مقامات أهل البدايات . وهو التوبة من =

وفى البيت : التَّشْمِيم ، والإيغال ، وشبه الجناس .

ثم أشار إلى ، تزغيب ذوى البدايات فى فعل الطاعة بتشويقهم إلى نساء الجنة ، لأنه أمثل بحالهم (١) فقال :

= المعاصى ، إذ المعاصى كفر بنعيمه ، وجحود لمتنيه ، وإباء لطاعته ، ومحادة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن المعاصى قبيحة ، مردولة ، وفاحشة ممقوتة ، لا يستحسنها ويميل إليها إلا ذوو الطباع السقيمة ، والأخلاق الرديئة ، فيجب التوبة منها ، والإفلاع عنها ، والندم على وقوعها والعزم على عدم اقترافها . قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ [سورة التحريم ، الآية ٨] .
﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

[سورة الشورى ، الآية ٢٥]

ثم رعب فى طاعة الله إذ أنها شكر للنعم ، وإقرار بالمنن وخضوع ، وانكسار ، وامتنال ، لأمر الواحد القهار .

فقال : إن الطاعة جميلة مستحسنة ، وضيعة ، مشرقة ، يشقها ذوو الطباع السليمة والأخلاق القديمة . بها تزكو النفوس ، وتستنير القلوب ، وتنضج الوجوه ، وهى تورث أهلها هناء عظيمًا ، ونعيمًا مقيمًا . قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة النساء ، الآية ١٣] .

﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ [سورة المطففين ، الآية ٢٤] .

وأعظم من ذلك كله النظر إلى وجهه الكريم فى الجنة ، وهو الزيادة فى قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ... ﴾ [سورة يونس ، الآية ٢٦] .

* * *

(١) فى المخطوط : « لأنها أميل بحالهم » بدل : « لأنه أمثل بحالهم » .

٢١- مَنْ يَخْطُبُ حُورَ الْخُلْدِ بِهَا يَظْفَرُ بِالْحُورِ وَبِالْغُنْجِ

« وَمَنْ يَخْطُبُ » بالجزم « بَمَنْ » الشرطية^(١) . من الخطبة بكسر الخاء . وهى طلبُ التزويج : أى مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى .

« حُورَ الْخُلْدِ » : أى نساء الجنة . وفى نسخة : « حور العين » .
 « بها » : أى بالطاعة ، ويوفى بها « يظفر » بالجزم « بمن » : أى يفز .
 « بالحور » : الكاملات الحسن اللائى لا يوجد مثلهن فى الدنيا .

« وبالغنج » بضم الغين مع التّون ، وإسكانها ، وفتحها : حسنُ الشكل بالكسر : أى الدلّ^(٢) . يقال : امرأة ذاتُ شكل : أى دلّ وغنّج . ويجوزُ فيه تقديرُ مضاف : أى بذوات الغنّج . فيكونُ مِنْ عَطْفِ الصّفاتِ الدّالّةِ عَلَى اجتماعِها فى ذاتٍ واحدةٍ مثل قول الشّاعر :

إلى الملكِ القرومِ وابنِ الهمامِ وليثِ الكتيبةِ فى المزدحمِ
 وسُميتِ نساءُ الجنةِ بالحورِ العينِ ؛ لأنهنَّ شبّهنَّ بالطّباءِ والبقرِ . من الحورِ بفتح الحاءِ والواوِ وهو : شدّةُ بياضِ العينِ فى شدّةِ سوادِها .

وسُميتِ الجنّةُ بالخلدِ ؛ لأنّها دارُ البقاءِ الدائمِ السّالمِ مِنَ المحنةِ^(٣) .
 وفى البيت : التّرديد ، والتّثميم ، والإيغال .
 وإذا أردتَ الظّفَرَ بالحورِ العينِ .

* * *

(١) فى المطبوع : « بمن الشرطية » بدل : « بمن الشرطية » .

(٢) فى المخطوط : « الدال » بدل : « الدل » .

(٣) أى : إذا أردتَ أيها العبد خطبتهن ، فمهورهن الطاعات والتقوى .. فعال فى المهر وأكثر منه ،

تظفر بهن ، وتنعم بحسنهنّ ودلّهنّ ، وما فيهن من جمال وكمال .

٢٢ - فَكُنِ الْمَرْضِيَّ لَهَا بِتَقَى تَرْضَاهُ غَدًا وَتَكُونُ نَجِي

« فَكُنْ » : الكُفُو « المرَضِيَّ لَهَا بِتَقَى » بمعنى : التَّقْوَى ، وتأوُّها بَدَلٌ مِّنَ الواوِ ، وواوُ (تقوى) بَدَلٌ مِّنَ الياءِ ، بِدَلِيلِ الوِقَايَةِ فِيهِمَا : أَى بِسَبَبِ تُقَى مِّنكَ . « تَرْضَاهُ » : بِأَنَّ تَرَاهُ مَقْبُولًا : أَى مَثَابًا عَلَيْهِ ؛ لِمَوَافَقَتِهِ الشَّرْعَ .
« غَدًا » : أَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وأصله (غَدَوٌ) حَذِفَتْ وَاؤُهُ بِلا عَوَظٍ ، وَفِي نَسْخَةِ : (هوى) : أَى هَوَاكُ « تَكُونُ » بِهِ هُنَاكَ « نَجِي » بِالْوَقْفِ ، بِحَذْفِ الْحَرَكَهِ وَالْأَلِفِ عَلَى لَعَةٍ رَبِيعَةٍ : أَى نَجِيًّا مِّنَ الْمَكْرُوهَاتِ ... وَجَعَلَ السَّبَبَ فِيهَا ذِكْرَ : التَّقْوَى ؛ لِأَنَّهَا أَعْظَمُ الْخِصَالِ وَأَنْفَعُهَا ؛ وَلِهَذَا وَصَّى اللَّهُ بِهَا الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، فَقَالَ : ﴿ ... وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ... ﴾ (١) .

وَفِي الْحَبَرِ : « جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَوْصِنِي . فَقَالَ : عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّهَا جِمَاعُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْمُسْلِمِ ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لِقَلْبِكَ » (٢) .
وَحَقِيقَتُهَا : اجْتِنَابُ مَا يَخَافُ مِنْهُ ضَرَرٌ فِي الدِّينِ .
وَفِي الْبَيْتِ : التَّشْمِيمُ فِي « غَدًا » وَشِبْهُ الْجِنَاسِ .
وَلَمَّا رَغِبَ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ بِمَا مَرَّ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا (*) فَقَالَ :

(١) سورة النساء ، الآية (١٣١) .

(٢) جاء في صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ٢٥٤٣) بهذه الرواية : « أوصيك بتقوى الله تعالى ، فإنه رأس كل شيء ، وعليك بالجهاد ، فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله تعالى ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء ، وذكرك في الأرض » عن مسند أحمد وقال : حسن .

التشويق إلى الطاعات بما في الجنة من الحور العين (*)

ولما كانت الطاعات سبيل العيش الهنيئ في جنة الخلد ، رغب الناظم فيها ، وشوق إلى ذلك =

= النعيم المقيم ، فقال : إن من أعظم نعيم الجنة ، ما خلق الله فيها من الحور العين اللاتي وصفهن بقوله : ﴿ حُورٌ مُّقْصِرَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية ٧٢] .

وقوله : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطُّرُوفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبَأَى آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ .

[سورة الرحمن ، الآيتان ، ٥٦ ، ٥٧]

فإذا أردت أيها العبد خطبتهم ، فمهورهن الطاعات والتقوى ، فعال في المهر وأكثر منه ، تظفر بهن ، وتنعم بحسنهن ، ودلهن ، وما فيهن من جمال وكمال .

وكن الكفاء المرضى عندهن بهذه الطاعات ، وبتقوى الله تعالى ، وبذلك تسعد في آخرتك ، وتكون من الناجين ومن أهل النعيم المقيم ﴿ هَلْ جِزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

[سورة الرحمن ، الآية ٦٠]

٢٣ - وَاثِلُ الْقُرْآنَ بِقَلْبِ ذِي حَزْنٍ وَبِصَوْتٍ فِيهِ شَجِي

واثلُ الْقُرْآنَ : مَتَدَبَّرًا بِهِ . « بقلب » : أى فؤاد .
 « ذِي حَزْنٍ » بفتح الحاء والزّاي ، أى : حزين . وفى نسخة : « ذِي حَرَقٍ » جمع حَرْقَةٍ : أى مُحْتَرِقٍ « و » : مُحْسِنًا لَهُ « بصوت فيه شَجٍ » : أى حزين ، بمعنى : رقيق . مِنْ قَوْلِهِمْ : « فَلَآنُ يَفْرَأُ بِالتَّحْزِينِ ^(١) » إِذَا أَرَقَّ صَوْتُهُ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ ... وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ ^(٢) .
 ولخبر الترمذى : « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذَكَرَى عَنْ مَسْأَلَتِي ^(٣) أُعْطِيَتْهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ السَّائِلِينَ » ^(٤) .
 وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ ، كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ .
 وخبر أبى داود وغيره : « زَيُّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » ^(٥) .
 قال الخطّابى ^(٦) : معناه : زَيُّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ . كما فسره غير واحدٍ مِنْ أئمّة الحديث . قال : وَقَدْ رُوِيَ كَذَلِكَ ، وَهُوَ الصَّحِيحُ .
 ومعناه : اشغَلُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالْهَجْوَا بِهِ ، وَاتَّخِذُوهُ شِعَارًا وَزِينَةً . انتهى .

^(١) ولأن ذلك أقرب إلى توقيف القرآن واختيرامه بقوله : « شَجٍ » وصف على فِعِيل ، بمعنى : مَفْعُولٌ أَوْ فَاعِلٌ . فيكونُ مُشَدَّدًا ، لكنّه حَقِيقَةٌ لِلْوِزْنِ ،

(١) فى المخطوط : « بالحزن » . (٢) سورة الرمل ، الآية (٤) .

(٣) فى المخطوط : « من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ... » الحديث .

(٤) الجامع الصغير (رقم ٢٩٢٦) .

(٥) صحيح الجامع الصغير وزياداته (رقم ٣٥٨٠ ، ٣٥٨١) عن صحيح أبى داود (رقم ١٣٢٠) .

(٦) هو : أبو سليمان الخطّابى ، صاحب كتاب (غريب الحديث) الذى قام بتحقيقه المرحوم

عبد الكريم العزباوى ، وطبع فى مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى فى كلية الشريعة - مكة المكرمة .

ويُحتمَلُ أَنْ يَكُونَ فِعْلاً كَعَمِي ، أَوْ مُصَدَّرًا . وَعَلَى الْأَوَّلَيْنِ يَكُونُ صِفَةً لَصَوْتٍ . وَ « فِيهِ » حَالًا : أَيْ فِي : حَالِ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . وَعَلَى الثَّلَاثِ : يَكُونُ عَلَى يَجْعَلُ مَبْتَدَأً وَفِيهِ خَبْرُهُ . أَيْ : فِي الصَّوْتِ شَجِي : أَيْ حُزْنٌ ^(١) .

وَفِي الْبَيْتِ : التَّكْمِيلُ : وَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ النَّائِرُ ، وَالنَّاطِمُ بِمَعْنَى مِنْ مَدْحٍ ، أَوْ غَيْرِهِ ، ثُمَّ يَرَى أَنَّهُ غَيْرُ كَافٍ فَيَأْتِي بِمَعْنَى آخَرَ ، فَيَزِيدُهُ تَكْمِيلًا ^(*) .

* * *

(١ - ١) ما بين الرقمين : « ولأن ذلك ... أى حزن » ساقط من المخطوط .

فضل تلاوة القرآن (*)

من أجل الطاعات ، وصالح الأعمال التي لها ذلك الجزاء الموفور : تلاوة القرآن .
ومن آداب تلاوته : أن تكون مفهومة حرفاً حرفاً ، مرتلة ترتيلاً بخشوع ، وتدبير ، وتفهم ، وحضور قلب ، ورهبة ، مجودة ، محسنة ، بصوت فيه ترقيق كصوت الحزين :

﴿ ... وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [سورة المزمل ، الآية ٤] .

وفي الحديث : « نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن » . انظر : « كنز العمال » (٤١٥ / ٨) .
وفي الحديث أيضاً : « زينوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً » أخرجه أبو داود (١٤٦٨) ، وفيه : « ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن » أخرجه البخاري (١٨٨ / ٩) : أى من لم يحسن الصوت به بشرط ألا يخرج عن حدود التلاوة المأثورة .

* * *

والذى يقرؤه ويتغنّ فيه وهو عليه شاق : له أجران . وكل مؤدب يحب أن تؤتى مأدبته ، ومأدبة الله : القرآن ، فلا تهجره ، وأفضل عبادة أمتي : تلاوة القرآن ، وهى جلاء القلوب ، وشفاء الصدور ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، من علّمه سبق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن اعتصم به هُدي إلى صراط مستقيم .

* * *

٢٤ - وَصَلَاةُ اللَّيْلِ مَسَافَتْهَا فَاذْهَبْ فِيهَا بِالْفَهْمِ وَجِي

« وَصَلَاةٌ » ، وفى نسخة « وَقِيَامُ اللَّيْلِ » : نَافِلَتُهُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ مِنْ نَافِلَةِ النَّهَارِ . « مَسَافَتْهَا » : أى مَسَافَةُ التَّلَاوَةِ فِيهَا . « فَاذْهَبْ فِيهَا بِالْفَهْمِ » : أى العِلْمَ . « وَجِي » قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ (١) .

وروى الطبراني وغيره خبر : « شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُهُ اللَّيْلَ » (٢) .
ويكره قيام كل الليل دائماً ، وأن يضر فيه نفسه .

والناظم شبه الصلاة بالمسافة ؛ لأنها محل لكثرة التلاوة ، كما أن المسافة محل لكثرة السير : أى صلاة الليل محل لإكثار التلاوة ، فأخصص التلاوة فيها بمزيد حضور وتأمل ؛ ليتم لك لذة المناجاة ، ويفيض عليك المعارف (٣) .
وفى البيت : الطباق ، والإرصاد ، والتتميم ، والإيغال .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١١٣) .

(٢) ذكره صاحب صحيح الجامع الصغير وزيادته (رقم ٣٧١٠) وقال : حسن .

وروايته : « شرف المؤمن صلواته بالليل . وعزه استغناؤه عما فى أيدي الناس » .

قيام الليل (٤)

من أجل الأعمال الصالحة : نافلة الليل ، فى الحديث : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقرَّبَةٌ لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومطرودة للداء عن الجسد ، ومنهارة عن الإثم » .
[رواه الترمذى] ، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٧٩] .

ونافلة الليل عظيم فضلها ، جليل قدرها ، مطلوب فيها الإكثار من التلاوة ، وقد صلى عليه الصلاة والسلام فيها بطوال السور من القرآن الكريم ، فأكثر فيها التلاوة ، وخصها بمزيد حضور وتفهم وتدبر ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَضْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ [سورة الزمل ، الآيات ٢ - ٤] لتنفرج عنك الغموم والهموم وتفيض عليك العلوم والمعارف ، وتفوز بالسعادة فى الدنيا والآخرة .

* * *

٢٥ - وَتَأْمَلُهَا وَمَعَانِيهَا تَأْتِ الْفِرْدَوْسَ وَتَنْفَرُجُ

« وَتَأْمَلُهَا » : أى صلاة الليل « و » : تأمل « معانيها » : أى مقاصدها الدينية ، والدنيوية ، الواردة في الأخبار . كخبر : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومطرقة للداء عن الجسد ، ومنهأة عن الإثم » رواه الترمذى (١) ، وغيره . « تَأْتِ الْفِرْدَوْسَ » : فهو حديقة أعلى الجنة ، وأوسطها . لخبر البخارى « إذا (٢) سألتُموا الله فاسألوه الفردوس ، فإنه أوسط الجنة ، وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة » (٣) .

« وَتَنْفَرُجُ » : مِنْ الْهَمِّ وَالْغَمِّ .

ويجوز أن يكون ذلك مجازاً عن كمال لذة المعرفة الراسخة الحاصلة من التأمل .

والمعنى : إذا كثرت التأمل في الصلاة ، كثرت معارفك ، وأنوارك اللدنية الشبيهة في كمالها ، ورُشوحها بالفردوس ، أو الموصلة إليه . ويجوز عود الضمير إلى (٤) الآيات المثولة المفهومة مما مر .

والفعل المضارع إذا وقع بعد أمرٍ وقُصِدَ به السببية يجزم كما في البيت .. بخلاف ما إذا لم يُقصد به السببية ، فإنه يُرفع سواءً وقع صفةً كقولهِ تعالى : ﴿ ... فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرْتِئِنِّي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (٥)

(١) في الجامع الصغير (رقم ٣٥٤٩) .

(٢) في المطبوع : « فإذا » وفي المخطوط مع سائر المصادر : « إذا » .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى (١٩/٤) .

وصحيح الجامع الصغير وزياداته رقم (٥٩٢) ، وفيه : « فإنه سر الجنة » .

(٤) في المطبوع : « عود الضميرين إلا الآيات » بدل : « عوض الضمير إلى الآيات » .

(٥) سورة مريم ، الآيتان (٥ ، ٦) .

على قراءة الرفع : حالاً . أم استئنافاً كقوله تعالى : ﴿ ... ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي
خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(١) ، فإنه يَحْتَمِلُ الوجهَ الأوجهَ كلها قوله
تعالى : ﴿ ... فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَمَسُ لَاتَخَافُ دَرَكًا ... ﴾ ^(٢) .
وقد قرئ : « لَا تَخَفْ » .

وفي البيت : التثمين والإيغال :

* * *

(١) سورة الأنعام ، الآية (٩١) .

(٢) سورة طه ، الآية (٧٧) .

٢٦ - وَاشْرَبْ تَسْنِيمَ مُفَجَّرَهَا لَا مُمْتَزَجًا وَبِمُمْتَزَجٍ

« وَاشْرَبْ » بطاعتك « تَسْنِيمَ مُفَجَّرَهَا » بفتح الجيم المشددة ، أى :
مفجّر الفردوس ، وهو الماء الجرى . مِنْ فَجَّرْتُ الْمَاءَ : أَجْرَيْتُهُ .

و « التسنيم » : عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُ مِنْهَا الْمُقَرَّبُونَ . مِنْ سَنِمْتُ الشَّيْءَ :
رَفَعْتُهُ . سُمِّيَتْ بِهِ لِأَنَّ شَرَابَهَا أَرْفَعُ شَرَابٍ فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ لِأَنَّهَا تَأْتِيهِمْ مِنْ
فَوْقَ . عَلَى مَا زُورَى : أَنَّهَا تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ مُتَسَنِّمَةً ، فَتَنْصَبُ فِي أَوَانِيهِمْ
فِيَشْرَبُونَ مِنْهَا مَا يُرِيدُونَهُ حَالَةً كَوْنِهِ .

« لَا مُمْتَزَجًا » : أَيْ مَحْتَلِّطًا بغيرها ، وَهَذَا لِلْمُقَرَّبِينَ .

« وَبِمُمْتَزَجٍ » : بغيره وَهُوَ لِلأَبْرَارِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ يُسْقَوْنَ ﴾ : أَيْ
الأبرار . ﴿ مِنْ رَحِيقٍ ... ﴾ ^(١) أَيْ : خَمْرَةٌ خَالِصَةٌ مِنَ الدَّنَسِ ، ثُمَّ قَالَ :
﴿ وَمِزَاجُهُ ﴾ : أَيْ : مَا يَمِزُجُ بِهِ ﴿ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴾ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا
الْمُقَرَّبُونَ ^(٢) : أَيْ مِنْهَا . أَوْ ضَمَّنَ يَشْرَبُ مَعْنَى يَلْتَذُّ .. وَفَسَّرَ فِي الْآيَةِ
(التسنيم) بِقَوْلِهِ : ﴿ عَيْنًا ﴾ إِلَى آخِرِهِ وَنَصَبَهُ (بِأَعْنَى) مُقَدَّرًا ، أَوْ بِالْحَالِيَةِ
مِنْ (تَسْنِيمٍ) .

وَحَاصِلُهُ : أَنَّكَ تَجْمَعُ اللَّذَاتِ الْعَجِيبَتَيْنِ : لَذَّةُ « التسنيم » الصَّرف ،
وَلَذَّةُ « التسنيم » الممْتَزَجِ .

وَالكَلَامُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ شَبَّهَ مَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَانِي التَّلَاوَةِ مِنْ
المَعَارِفِ ، وَالْأَنْوَارِ بِالتَّدْبِيرِ ، وَالتَّفْهِيمِ فِي تَأَثَّرِ النَفْسِ بِهِ ^(٣) اسْتِحْسَانًا وَكَمَا لَا ،
بِالمَاءِ الْمَذْكُورِ خَالِصًا وَمُمْتَزَجًا ، وَأَمَرَ بِقَبُولِ تِلْكَ المَعَارِفِ وَالْأَنْوَارِ بِقَوْلِهِ :

(١) سورة المطففين ، الآية (٢٥) .

(٢) سورة المطففين ، الآيتان (٢٧ ، ٢٨) .

(٣) فِي المَطْبُوعِ : « بِهِ » سَاقِطَةٌ .

« واشْرَبَ » (*) أى : تَلَقَّ بِالْقَبُولِ فَهوَ : استعارة ، أو كناية ، أو « اشْرَبَ » أمرٌ باقٍ عَلَى مَعْنَاهُ كَمَا تَقَرَّرُ ، فَيُعْطَفُ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ السَّابِقِ .
وفى البيت : الطباقي ، ورد العجز على الصدر ، والجناس التام : فى « لَأُمْتَمْتِجًا » ، « وبُمُتْمِزِج » (*) .

* * *

الجزاء على الطاعة (*)

ومن تمام ذلك النعيم جزاء على تلك الطاعات التمتع فى الجنة بشرب التسنيم المفجر من الفردوس وهو أرفع شراب فى الجنة ، يشربه الأبرار ممتزجا بغيره ، ويشربه المقربون صرفاً غير ممتزج ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جِزَاءً وَكَانَ سَعْيِكُمْ مَشْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان ، الآية ٢٢] .

٢٧ - مُدِخِ الْعَقْلِ الْآتِيهِ هُدًى وَهَوًى مُتَوَلِّ عَنْهُ هُجًى

« مُدِخِ الْعَقْلِ الْآتِيهِ » : أى الَّذِي أتى مَا مَرَّ من الطَّاعَةِ وَغَيْرهَا مِنْ المَقَامَاتِ وَجَعَلَهَا (١) مَعْرِفَةً لِلَّهِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ ، وَالتَّهَيُّؤُ لِمُنَاجَاتِهِ ، وَفَهْمُ خِطَابِهِ . « هُدًى » : أى دَلَالَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَهُوَ مَفْعُولٌ لَهُ : أَوْ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ « آتِيهِ » أَوْ مِنْ مَفْعُولِهِ ، أَوْ مِنْهُمَا .

وَالْعَقْلُ لُغَةً : الْمُنْعُ . وَاضْطِلَاحًا يُقَالُ : بِالِاسْتِزَاكِ كَمَا قَالَ الْغَزَالِيُّ (٢)
لأربعة معانٍ :

أحدها — غريزةٌ يتهيأُ بِهَا لِدَرْكِ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ ، قَالَ : وَكَأَنَّهُ نَوْزٌ يُقَدَّفُ فِي الْقَلْبِ ، بِهِ يَسْتَعِدُّ لِإِذْرَاكِ الْأَشْيَاءِ .

ثانيها — بعضُ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ .

ثالثها — علومٌ تُسْتَفَادُ مِنَ التَّجَارِبِ بِمَجَارِي الْأَحْوَالِ .

رابعها — انتهَاءُ قُوَّةِ تِلْكَ الْغَرِيْزَةِ إِلَى أَنْ تَعْرِفَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ ، وَتَقْمَعَ الشَّهْوَةَ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّذَّةِ ، الْعَاجِلَةَ وَتَقْهَرَهَا .

قَالَ — وَيُسْتَبْتَهُ أَنْ يَكُونَ الْاسْمُ لُغَةً ، وَاسْتِعْمَالًا لِتِلْكَ الْغَرِيْزَةِ ، وَإِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى الْعُلُومِ مَجَازًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا ثَمَرْتُهَا ، كَمَا يُعْرَفُ الشَّيْءُ بِثَمَرَتِهِ ، فَيُقَالُ : الْعِلْمُ هُوَ : الْخَشْيَةُ .

وَالرَّابِعُ — هُوَ مُرَادُ النَّاطِمِ .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : « وَجَعَلَهَا » بَدَلُ : « وَجَعَلَهَا » .

(٢) الْغَزَالِيُّ : الْمُرَادُ بِهِ : أَبُو حَامِدٍ . حِجَّةُ الْإِسْلَامِ (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) وَصَاحِبُ كِتَابِ « إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ » . تَعَرَّضَ لِلْفِقْهِ ، وَالْكَلَامِ ، وَالتَّصَوُّفِ ، وَالفَلَسَفَةِ . وَخَلَفَ لَنَا عِدَّةَ كُتُبٍ أَشْهَرُهَا مَا ذَكَرْنَاهُ وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْهَجِهِ إِلَّا الدِّفَاعُ عَنِ الْإِسْلَامِ بِفِكْرِ نَبِيِّهِ ، وَمِنْطَقِ مُسْتَقِيمٍ .

وعَبَّرَ عَنْ أَوْلَاهَا الْإِمَامَ الرَّازِيَّ (١) بِأَنَّهُ : غَرِيْزَةٌ يَتَّبِعُهَا الْعِلْمُ بِالنَّظَرِيَّاتِ عِنْدَ سَلَامَةِ الْآلَاتِ .

وَعَرَّفَهُ الشَّيْخُ أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْرَازِيَّ بِأَنَّهُ : صِفَةٌ يُمَيِّزُ بِهَا بَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيْحِ .

وهو معنى قول الشافعي : إنه آلة التَّمْيِيزِ .

وَعَرَّفَهُ أَكْثَرَ الْحُكَمَاءِ بِأَنَّهُ : جَوْهَرٌ مَجْرَدٌ غَيْرٌ مَتَعَلِّقٌ بِالْبَدَنِ ، تَعَلَّقَ التَّدْبِيرَ وَالتَّصَرُّفَ .

وَبَعْضُهُمْ : بِأَنَّهُ جَوْهَرٌ مَجْرَدٌ عَنِ الْمَادَّةِ فِي ذَاتِهِ مَقَارِنٌ لَهَا فِي فِعْلِهِ ، وَهُوَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا كُلُّ وَاحِدٍ بِقَوْلِهِ : (أَنَا) وَذَلِكَ عِنْدَ أَكْثَرِ الْحُكَمَاءِ ، وَالْمَعْتَزِلَةِ (٢) — وَيُخَصِّصُهُمْ (٣) — بِأَنَّهُ : جَوْهَرٌ لَطِيفٌ فِي الْبَدَنِ يَنْبَعُثُ شُعَاعَهُ فِيهِ كَالسَّرَاجِ فِي الْبَيْتِ ، وَمَحَلُّهُ الدِّمَاغُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْحُكَمَاءِ وَبَعْضِ الْفُقَهَاءِ .

وَالْقَلْبُ عِنْدَ أَكْثَرِ الْفُقَهَاءِ ، وَبَعْضِ الْحُكَمَاءِ . وَنُقِلَ عَنِ الشَّافِعِيِّ — وَهُوَ الصَّحِيْحُ — قَالَ الشَّارِحُ : وَهُوَ الَّذِي قَالَ يَدُلُّ عَلَيْهِ نِصُوصُ الشَّرِيعَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... وَلَكِنْ تَعَمَّى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤) .

(١) الإمام الرازي هو : أبو عبد الله . محمد بن عمر . فخر الدين الرازي : أُوْحِدَ زَمَانُهُ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَعِلْمِ الْأَوَائِلِ . قَرَشَى النِّسْبَ أَصْلَهُ مِنْ طَبْرِسْتَانَ ، وَتَوَفَى بِهَرَاةِ سَنَةِ ٦٠٦ هـ .
(طبقات الأطباء ٢٣/٢ ، وإخبار العلماء للقفطي ، وأعلام الزركلي ٣١٢/٦) .
(٢) المعتزلة : فرقة كلامية إسلامية ، ظهرت في آخريات القرن الأول الهجري وبلغت شأوها في العصر العباسي .

وقد امتازت هذه الفرقة بحرية الفكر ، والاعتداد بالعقل ، وقوة الحججة .

(٣) في المطبوع : « وبعضهم » بدل : « ويخصّصهم » . (٤) سورة الحج ، الآية (٤٦) .

وأما فساده لفساد الدماغ فلا يدل على أنه محله ؛ لجواز أن يكون سلامة الدماغ شرطاً في اتصاف القلب به عادة .

« وهوى » مبتدأ ، وهو ^(١) : ميل النفس إلى الشهوة حلال أو حرام .
« متول » : أى معرض . « عنه » : أى عن ما مر من الطاعة وغيرها من المقامات . عن الهدى : مضاف إلى « متول » : أى موصوف به .
« هجى » : خبر المبتدأ .

أى : ذم من هجوته هجواً أو هجاءً وتهجاءً : انقلبت الواو ياءً فى المبنى للمفعول لتطرّفها وانكسار ما قبلها .

وفى البيت : التثميم فى « هدى » ، والمقابلة وهى : أن تُجمَع أمورٌ مختلفة ، ثم تقابل بضد كل منهما . كما قابل « المدح » بالذم و « الإتيان » بالتولى و « الهدى » ب « الهوى » ، وكما فى قوله تعالى : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبْكوا كثيراً ... ﴾ ^(٢) ، والطباق ^(٣) ^(*) :

* * *

(١) « وهو » : أى (الهوى) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٨٢) .

(٣) فى المخطوط : « والطباق » ساقطة .

مدح العقل وذم الهوى ^(*)

العقل والهوى ضدان متنافران :

فالعقل : نور يهدى إلى الخير والصلاح ﴿ ... قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ .

= [سورة الحديد الآية ١٧]

= والهوى : مضلة يحجب إلى النفوس الشهوات والرذائل ، ويكره إليها المرشد والفضائل :
﴿ ... وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ [سورة ص ، الآية ٢٦] .
فحكّم عقلك واستعمله في كل ما تأتي وما تذر
واطرح هواك في أى أمرٍ قل أو كثر
فما حكّم العقل أحد إلا ظفر
وما حكّم الهوى أحد إلا خسر
وحسب العقل شرفاً أنه مناط التكليف بالشرائع والأحكام من رب العالمين .

* * *

٢٨ - وَكِتَابُ اللَّهِ رِيَاضَتُهُ لِعُقُولِ الْخَلْقِ بِمُنْدَرِجٍ

« وَكِتَابُ اللَّهِ » تعالَى « رِيَاضَتُهُ » : أَيْ تَعْلِيمُهُ ، وَتَأْدِيبُهُ ، بِأَمْرِهِ ، وَنَهْيِهِ ، وَوَعْدِهِ ، وَوَعِيدِهِ ، وَوَعْظِهِ ، وَضَرْبِ أَمْثَالِهِ .
« لِعُقُولِ الْخَلْقِ » : كِنَايَةٌ .

« بِمُنْدَرِجٍ » : أَيْ بِطَرِيقٍ وَاضِحَةٍ يَنْدَرِجُ النَّاسُ فِيهَا ؛ لِصِحَّتِهَا ، وَوُضُوحِهَا مِنْ دَرَجِ الْقَوْمِ ، وَانْدَرَجُوا : مَضَوْا فِي سَبِيلِهِمْ .
والمَرَادُ : بِدَلَالِئِلٍ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ ، وَآيَاتٍ وَاضِحَاتٍ لَا قَدْخَ فِيهَا ، وَلَا فِي مَقَدِّمَاتِهَا ، كَالطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ ، لِأَمْنِهَا وَاتِّصَاحِهَا .

وَالرِّيَاضَةُ : مِنْ رُضْتُ الدَّابَّةَ . أَيْ : عَلَّمْتُهَا السَّيْرَ ، وَإِضَافَتُهَا إِلَى ضَمِيرِ الْكِتَابِ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ كَقَوْلِهِمْ : طَرِيقٌ سَائِرٌ وَنَهْرٌ جَارٍ ؛ لِأَنَّ الْمَعْلَمَ وَالْمُؤَدَّبَ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ ، لَكِنْ بِالْفَظِ الْكِتَابِ ، فَكَأَنَّهَا الرِّائِضَةُ ^(١) لِعُقُولِ الْخَلْقِ .. فَفِي ذَلِكَ تَشْبِيهُ الْعُقُولِ ^(٢) بِالذَّابَّةِ فِي حَاجَةِ التَّعْلَمِ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِعَارَةِ بِالْكِنَايَةِ وَطَوَى ذِكْرَ الْمَشْبَهَةِ بِهِ وَانْتَفَى بِبَلَاغِهِ وَحَدِّهِ ^(٣) ، وَخَصَّ الْكِتَابَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُرْجِعُ الْأَدِلَّةِ ، وَالآيَةِ الْكُبْرَى ، وَالتَّعَمُّةَ الْعَظْمَى ، فِي بَيَانِ مَا لَا تَهْتَدِي إِلَيْهِ الْعُقُولُ فِي الْإِعْتِصَامِ ^(٤) مِنَ الْفِتَنِ . لِحَبْرٍ : « أَنَّهُ سَيَكُونُ فِتْنٌ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . قِيلَ : فَمَا النَّجَاةُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَنْ قَبْلَكُمْ ، وَخَبْرٌ مَا بَعْدَكُمْ ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ ، وَهُوَ فَضْلٌ لَيْسَ بِالْهَزْلِ ، مَنْ تَرَكَهُ تَجَبَّرَ قَصَمَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ ابْتَعَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينِ ، وَنُورُهُ الْمُبِينِ ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمِ ،

(١) فِي الْمَخْطُوطِ : « الرِّيَاضَةُ » بَدَلُ : « الرِّائِضَةُ » .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ : « تَشْبِيهُ حَقِيقَةَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى الْعُقُولِ ... » إلخ .

(٣) فِي الْمَخْطُوطِ : « وَحَدِّهِ » سَاقِطَةٌ .

(٤) فِي الْمَطْبُوعِ : « فِي الْإِعْتِصَامِ » بَدَلُ : « فِي الْإِعْتِصَامِ » .

والصِّراطُ المستقيم ، وهو الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَتَشَعَّبُ مَعَهُ الْأَرَءَاءُ ، وَلَا تَشْبِغُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَلَا تَمْلُئُهُ الْأَتْقِيَاءُ ، مَنْ عَلِمَهُ سَبَقَ ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ ، وَمَنْ اغْتَصَمَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ « (١) (*).
 وقوله : « رِيَاضَتُهُ » بَدَلُ اشْتِمَالٍ مِنَ الْمُبْتَدَأِ قَبْلَهُ ، أَوْ مُبْتَدَأٌ (٢) ثَانٍ خَبْرَهُ « بِمَنْدَرَجٍ » وَهُوَ مَعَ خَبْرِهِ ، خَبْرُ الْأَوَّلِ ، وَاللَّامُ زَائِدَةٌ ؛ لِتَقْوِيَةِ الْعَامِلِ لَضَعْفِهِ بِالْفِرْعَوِيَّةِ (٣) ، وَتَنْوِينِ « مَنْدَرَجٍ » لِلتَّكْثِيرِ ، وَالتَّنْوِيْعِ .

(١) رواه السيوطى فى (الجامع الكبير ٣٠٤/١ ، ومسنَد أحمد ٤٩٣/٣) .

رياضة العقول بالقرآن العظيم (*)

تقدم القول فى آخر شرح (البيت ٢٣) فى فضل تلاوة القرآن وآدابها ، وأنها من أفضل الطاعات ، وأعظم العبادات ، ونزید هنا ترغيباً فيها ، وحثاً عليها بيان أثر القرآن العظيم فى تهذيب النفوس وتربيتها ، وتعليمها وإرشادها ، فإن فى آياته البينات ، وأمثاله الحكيمة ، وعظاته البليغة ، ودلائله الواضحة وحججه الدامغة ، وتحذيره من طرق الغواية ، وتصريف آياته بأساليب محكمة : أمر ، ونهى ، وخبر ، واستخبار ، وقصص ، وعبر ، ووعد ، ووعد ، وترغيب ، وترهيب ، تعليماً وتهذيباً ، ورياضة للنفوس وتنبيهاً ، وعصمة من الشر لمن تأمله وتدبره :

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلْبَيْتِ هِيَ أَقْوَمٌ ... ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٩] .

وقد تعبدنا الله بالقرآن الكريم وأوجب علينا اتباعه والعمل بما جاء فى كل شأن من شؤون الحياة : فى العبادات ، والمعاملات ، والأحكام ، والأخلاق ، وسياسة الرعية ، ورعاية المصالح ، فى الدين والدنيا ، فى الحرب والسلم ، فى علاقات الأفراد والجماعات ، بعضهم مع بعض ، وفى علاقات الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم ، فى تحديد الحقوق والواجبات وغير ذلك .. وحذرننا أشد التحذير من مخالفته وعصيانه بما ضرب من الأمثال وأخبار الأمم الماضية الذين ضلوا سبيل الله فكانوا من الهالكين . فكتاب ربنا هو الدستور الأعظم ، والإمام المقتدى ، والحجة والبرهان ، وهو الحق المبين ، والصراط المستقيم ، فمن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .

اللهم أرنا الحق حقاً فننتبهه ، وأرنا الباطل باطلاً فنجتنبه .

(٢) فى المطبوع : « أَوْ مُبْتَدَأٌ » بَدَلُ : « أَوْ مُبْتَدَأٌ » .

(٣) فى المطبوع : « يَضَعْفُهُ يَا الْفِرْعَوِيَّةِ » بَدَلُ : « لَضَعْفُهُ بِالْفِرْعَوِيَّةِ » .

* * *

٢٩ - وَخِيَارُ الْخَلْقِ هُدَاتُهُمْ وَسِوَاهُمْ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ

« وَخِيَارُ الْخَلْقِ » ، وفى نسخة : « النَّاسِ » : أى أَفْضَلُهُمْ .

« هُدَاتُهُمْ » إلى طريقِ الحقِّ . وهم : العُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ . يقال : هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ ، ولِلطَّرِيقِ ، وَإِلَى الطَّرِيقِ : أى دَلَلْتُهُ عَلَيْهِ . وَيَدُلُّ لِمَا قَالَه أَدَلَّةٌ كَثِيرَةٌ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ... ﴾ (١) فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ ، وَتَتَى بِمَلَائِكَتِهِ ، وَتَلَّتْ بِأُولَى الْعِلْمِ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَنَاهَيْكَ بِهِ شَرْفًا .

وقوله : ﴿ ... يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ... ﴾ (٢) . قال ابن عباس رضى الله عنهما : « لَهُمْ دَرَجَاتٌ فَوْقَ الْمُؤْمِنِينَ بِسَبْعِ مِئَةِ دَرَجَةٍ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ » .
وقوله : ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ (٣) . فَحَصَرَ خَشْيَتَهُ فِيهِمْ ، وَأَعْظَمَ بِهِ شَرْفًا ؛ لِأَنَّ مَعْرِفَتَهُ سَبَبُ خَشْيَتِهِ .

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لِيَسْتَعْفِرَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ [وَإِنْ] (٤) فَضَّلَ الْعَالِمَ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ . وفى رواية : (كَفَضَلِي عَلَى أَذْنَانِكُمْ) ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ [وَإِنْ الْأَنْبِيَاءِ] (٥) لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دَرَاهِمًا ، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ ،

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٨) . (٢) سورة المجادلة ، الآية (١١) .

(٣) سورة فاطر ، الآية (٢٨) .

(٤) ما بين المعقوفتين عن صحيح الجامع الصغير وزياداته .

(٥) ما بين المعقوفتين عن صحيح الجامع الصغير وزياداته .

فَمَنْ أَخَذَهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ» (١) رواه أبو داؤد والترمذى ، وغيرهما .
« وَسِوَاهُمْ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ » « خَيْرُ النَّاسِ رَجُلَانِ : عَالِمٌ ، وَمَتَعَلِّمٌ ،
وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لَا خَيْرَ فِيهِمْ » (٢) رواه ابن ماجه بلفظ : « الْعَالِمُ وَالْمَتَعَلِّمُ
شَرِيكَانِ فِي الْخَيْرِ وَلَا خَيْرَ فِي سَائِرِ النَّاسِ » (٣) .

و « الْهَمَجُ » جمع : هَمْجَةٌ وهى : الشَّاةُ الْمَهْزُؤَلَةُ ، وَالذَّبَابُ الصَّغِيرُ
الَّذِي يَشْفُقُ عَلَى وَجْهِ الْعَنَمِ وَالْحَمِيرِ .

شَبَّهَ بِذَلِكَ غَيْرَ الْهُدَاةِ فِي قِلَّةِ الْهِمَّةِ وَخِسَّةِ الْقُلُوبِ ، ثُمَّ بَالِغَ بَأْنِ
جَعَلَهُمْ مِنْ هَمَجِ الْهَمَجِ .. عَلَى طَرِيقِ التَّجْرِيدِ التَّشْبِيهِى ، الَّذِي هُوَ أْبْلَغُ
أَنْوَاعِ التَّجْرِيدِ .. تَنْبِيْهَا عَلَى ذَمِّ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ عِنْدَ اللَّهِ بِأَنْ
قَصَدَ بِهِ حِطًّا أَوْ جَاهًا دُنْيَوِيًّا فَيَأْتِمُ ، بِخَيْرِ : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ :
عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ » (٤) رواه الطبرانى ، والبيهقى .

وخبير : « لَا يَكُونُ الْمَرْءُ عَالِمًا حَتَّى يَكُونَ بَعْلِمِهِ عَامِلًا » (٥) رواه
ابن حبان والبيهقى ، موقوفًا عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ .

وفى البيت : الجناس ، ورد العجز عَلَى الصَّدْرِ ، وَالْمَقَابَلَةُ : وهى أَنْ يُوْتَى
بِعَنْيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ ، ثُمَّ بِمَا يُقَابِلُ ذَلِكَ عَلَى التَّرْتِيبِ . كَمَا قَابَلَ
« خِيَارَ الْخَلْقِ » بـ « سِوَاهُمْ » و « هُدَاتُهُمْ » بـ « هَمَجِ الْهَمَجِ » فَكَمَا فى قَوْلِهِ
تَعَالَى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ... ﴾ (٦) .

(١) صحيح الجامع الصغير وزياداته (رقم ٦٢٩٧) وقال : (صحيح) عن مسند أحمد وسنن
أبى داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه ، وصحيح ابن حبان .

(٢) سنن الدارمى . المقدمة ٣٢ (٣) أخرجه ابن ماجه (٢٢٨) .

(٤) رواه الطبرانى فى (الصغير ١/١٨٣) .

(٥) (كنز العمال فى سنن الأفعال . للمتقى الهندى ١٠/٣٠٥) ، وعزاه لابن عساكر .

(٦) سورة التوبة ، الآية (٨٢) .

والتجريد : وهو أن ينتزع من متصيف بصفة آخر مثله فيها ؛ لأجل^(١) المبالغة في كمالها فيه .. مثاله في التشبيه : لئن لقيت زيدا لتلقين منه بحراً ، أو لتلقين^(٢) به أسداً . يعنون : نفس زيد .

والناظم جرّد غير الهداة من « همج همج » بعد التشبيه مبالغة في الذم .

ولما أشار^(٣) إلى عظم خطر العلم والعمل فيمن قصد منها قصداً مذموماً ، أشار^(٣) إلى الأمر بالجدّ فيهما والصبر عليهما ؛ ليسلم الآتي بهما من الخطر^(*) . فقال :

(١) في المطبوع : « لاجلى » بدل : « لأجل » تحريف .

(٢) في المطبوع : « ولتلقين » بدل : « أو لتلقين » . (٣) في المطبوع : « أشاره » بدل : « أشار » .

فضل العلم والعلماء العاملين^(*)

أفضل الناس هم العلماء العاملون ، الذين يهدون الناس إلى طريق الحق والفلاح ، ويرشدونهم إلى سبيل الهدى والصلاح ، ويزودون عن بيضة الإسلام بالحجة والبرهان ؛ قطعاً للشكوك والأوهام . وهؤلاء هم حراس الشريعة وأمنائها . ومنهم المجددون على رءوس المعين من السنين .

وهم الذين عناهم الله بقوله : ﴿ ... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ... ﴾ [سورة فاطر ،

الآية ٢٨] ، وقوله : ﴿ ... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَتْلُمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾ [سورة الزمر ،

الآية ٩] وغير هؤلاء همج من الخلق لا خير فيهم ، لا لأنفسهم ، ولا للناس .

ومنهم الجهال الذين عموا وطمعوا فلم يعرفوا حقاً ولا معروفاً ، فكانوا بالأنعام أشبه .

ومنهم الذين اتسموا بسمه العلماء ، ولكنهم عن العمل بالعلم معرضون ، وبإضلال العامة مفتنون ،

طمعاً في غرض زائل ، أو جاه زائف ، أو شهوة كاذبة .

ومنهم الذين مارسوا قليلاً من العلم فلم يستوعبه نظراً ، ولم يتعمقوا فيه بحثاً ، فلم يحصلوا منه

على كبير طائل ، وكبُر عليهم أن يُعرفوا بالتصنُّر ، فإذا سئلوا ولم يعلموا أفتوا بغير علم فضّلوا وأضلوا ،

وقالوا على الله ما لا يعلمون .

وكل هؤلاء على خطر عظيم ، وهم المعنيون بالذم فهم « همج همج » .

٣٠ - وَإِذَا كُنْتَ الْمِقْدَامَ فَلَا تَجْرِعْ فِي الْحَزْبِ مِنَ الرَّهَجِ

« وَإِذَا كُنْتَ الْمِقْدَامَ » : أى الكثيرُ الإقْدَامِ عَلَى العُدُوِّ ؛ لشَجَاعَتِكَ ، و« أَلْ » فِيهِ لِلعَهْدِ العِلْمِي ، عَلَى سَبِيلِ الادِّعَاءِ : أى الكَامِلِ فِي الإقْدَامِ ، أَوْ للاسْتِغْرَاقِ المَجَازِي ، الجَامِعِ لخصائصِ جنسِ المِقْدَامِ ، كما فِي قَوْلِكَ : أَنْتَ الرَّجُلُ عِلْمًا « فَلَا تَجْرِعْ » : أى تَضْطَرِبْ ، وَفِي نَسْخَةِ : « فَلَا تَلْوِي » : أى تَعْرِضُ « فِي الحَزْبِ » : أى القِتَالِ « مِنْ » : أَجَلٍ . « الرَّهَجِ » : أى العُبارِ .
أى : كُنْ فِي جِدِّكَ ، وَنَشَاطِكَ قَوِيَّ القَلْبِ بِاللَّهِ ، نَافِذَ العَزْمِ فِيمَا تَطْلُبُ .. كَالْمِقْدَامِ الَّذِي لَا يُرْذَهُ عَن مَقْصِدِهِ رَأْدٌ ، وَإِنْ عَظُمَ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَلَا تَجْرِعْ فِي مَجَاهِدَتِكَ الشَّيْطَانَ وَالتَّنَفُّسَ ، وَمَخَالَفَتِهِمَا الشَّبِيهَةَ بِالحَزْبِ مِنَ العَوَارِضِ الشَّبِيهَةَ بِالرَّهَجِ فِي الدَّنَاءَةِ .. كَوَسْوَسَةِ الشَّيْطَانِ ، وَهَوَى النَفْسِ ؛ لِأَتَهُمَا يَقُولَانِ لَكَ : إِنْ كُنْتَ خَلِقتَ سَعِيدًا لَمْ يَضْرَكَ تَرْكُ العِلْمِ وَالعَمَلِ !! أَوْ سَقِيًّا لَمْ يَنْفَعَاكَ !!

وَادْفَعْ هَذِهِ الشَّبِيهَةَ بِأَنْ تَقُولَ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَلَى العَبْدِ الأَمْتِثَالِ لِعِبُودِيَّتِهِ ، وَالرَّبُّ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ ، وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ . وَلِأَنَّ العِلْمَ وَالعَمَلَ يَنْفَعَانِي كَيْفَ مَا كُنْتُ ؛ لِأَنِّي إِنْ كُنْتُ سَعِيدًا أزدَدْتُ بِهِمَا ثَوَابًا ، أَوْ شَقِيًّا فَلَا أَلُومَ نَفْسِي ، وَلِأَنَّ اللّهَ لَا يُعَاقِبُنِي عَلَى الطَّاعَةِ بِكُلِّ حَالٍ ، وَلَا تَضُرُّنِي عَلَى أَنِّي إِنْ دَخَلْتُ النَّارَ وَأَنَا مُطِيعٌ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُدْخِلَهَا وَأَنَا عَاصٍ ، فَكَيْفَ وَوَعْدُهُ حَقٌّ ، وَقَوْلُهُ صِدْقٌ .. وَقَدْ وَعَدَ عَلَى الطَّاعَةِ بِالثَّوَابِ .

وَمَا تَقَرَّرَ ظَهَرَ لَكَ : أَنَّ « الحَزْبَ » مُسْتَعَارَةٌ ؛ لِمَجَاهِدَةِ الشَّيْطَانِ وَالتَّنَفُّسِ ، بِجَامِعِ المَشَقَّةِ ، وَأَنَّ « الرَّهَجَ » مُسْتَعَارٌ لِلخَوَاطِرِ الوَارِدَةِ عَلَى القَلْبِ مِنْهُمَا ، بِجَامِعِ الدَّنَاءَةِ وَهَذِهِ الاسْتِعَارَةُ مَرشَّحَةٌ لِالأُولَى ، لِأَنَّ « الرَّهَجَ » مِنْ

لوازِمِ المُسْتَعَارِ مِنْهُ وَهُوَ الْقِتَالُ ، فَتَشْبِيهِهِ الْمَجَاهِدَةَ بِالْحَرْبِ اسْتِعَارَةٌ
تَصْرِيحِيَّةٌ^(١) ، وَإِثْبَاتِ الرَّهْجِ لَهَا تَرْشِيحٌ .
وَفِي الْبَيْتِ : الْإِيغَالُ (*).

* * *

(١) فِي الْمَخْطُوطِ : « اسْتِعَارَةٌ بِالْكَتَائِبَةِ » بَدَلَ : « اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ » .

الْجِدُّ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمَا^(*)

يَقُولُ : إِذَا جَاهَدْتَ نَفْسَكَ وَالشَّيْطَانَ وَكُنْتَ الْمَقْدَامَ فِي الْحَرْبِ وَالطَّعَانَ ، فَتَدْرَعُ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ،
وَلَا تَجْرَعُ بِمَا يَنْفُثَانِهِ مِنَ الْوَسَاوِسِ ، وَيُدْبِرَانِهِ مِنَ الدَّسَائِسِ ؛ لِيَصِدَّكَ عَمَّا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجِدِّ فِي الْعِلْمِ
النَّافِعِ ، وَالْمُتَابَرَةِ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ ، وَالطَّمَعِ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَثُوبَةِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ
لَا يَلْبِثُ أَنْ تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ ، وَيَتَطَايَرُ كَالشَّرْرِ وَالْهَبَاءِ ، إِذَا مَا وَثِقْتَ بِاللَّهِ ، وَاسْتَعْنَتَ بِهِ وَصَبِرْتَ فِي حُلْبَةِ
الْجِهَادِ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَصِيرُ الْمَجَاهِدِينَ .

* * *

٣١ - وَإِذَا أَبْصَرْتَ مَنَارَ هُدَىٰ فَظَهَرَ فَرْدًا فَوْقَ الشَّبَجِ

« وَإِذَا أَبْصَرْتَ » : بَعْدَ جَدِّكَ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، وَإِعْرَاضِكَ عَنِ الْعَوَارِضِ الدَّنِيئَةِ . « مَنَارَ هُدَىٰ » : أَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .
« فَظَهَرَ فَرْدًا » : أَى فَاعِلٌ مَنفَرِدًا .

« فَوْقَ الشَّبَجِ » : بِفَتْحِ الْبَاءِ ، أَى : الْوَسْطِ ، أَوْ الْمَعْظَمِ . مِنْ مَنَارِ الْهُدَى لَتَصِيرَ مِنَ الْمُخْتَصِّصِينَ بِهِ ، الْمُتَمَكِّنِينَ مِنْهُ . وَ « الْمَنَارِ » : مَفْعَلٌ مِنَ الثُّورِ ، وَهُوَ مَا يَحُلُّ فِيهِ النَّورُ وَهُوَ أَيْضًا : الْعَلَمُ . الَّذِي يُنْصَبُ فِي الطَّرِيقِ لِلْإِهْتِدَاءِ بِهِ ، وَاسْتِعَارَ الْإِبْصَارَ ، وَهُوَ رُؤْيُ الْعَيْنِ لِلْعَلَمِ لِأَنَّ الْمَخْسُوسَ أَجْلَى مِنَ الْمَعْقُولِ ، فَشَبَّهَهُ بِهِ فِي الْجَلَاءِ ، وَاسْتِعَارَ بَعْدَ تَشْبِيهِ الْهُدَى بِالْمَنَارِ وَالثُّورِ ، لِلدَّلِيلِ الْوَاضِحِ الْمُفِيدِ لِلْعَلْمِ وَالْعَمَلِ ، أَوْ لِلشَّيْخِ الْمَفِيدِ لِذَلِكَ ، فَقَدْ قَالُوا : « مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْخٌ فَالشَّيْطَانُ شَيْخُهُ » .

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مَدِينٍ (١) : « مَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَدَبَهُ مِنَ الْمُتَأَدِّبِينَ ، أَفْسَدَ مَنْ يَتَّبِعُهُ (٢) » .

وَقَالَ أَيْضًا الشَّيْخُ : « مَنْ هَدَبَكَ بِأَخْلَاقِهِ ، وَأَدَبَكَ بِإِطْرَاقِهِ ، أَنْارَ بَاطِنَكَ (٣) بِإِشْرَاقِهِ » فَتَشْبِيهُهُ الْهُدَى بِالنُّورِ : اسْتِعَارَةٌ بِالْكِنَايَةِ . وَإِثْبَاتُ الْمَنَارِ لَهُ : اسْتِعَارَةٌ تَخْيِيلِيَّةٌ . وَاسْتِعَارَ « الشَّبَجِ » لِأَقْوَى وَأَشْرَفِ أَدَلَّةِ الْعِلْمِ وَأَسْبَابِ الْعَمَلِ ؛ لِأَنَّ وَسْطَ كُلِّ شَيْءٍ : حِيَارُهُ ، وَمَعْظَمُهُ : أَقْوَاهُ ، وَ « أَلْ » فِيهِ

(١) الشَّيْخُ أَبُو مَدِينِ الْمَغْرِبِيِّ . مِنْ أَعْيَانِ مَشَايِخِ الْمَغْرِبِ وَصُدُورِ الْمُرَبِّينِ . وَاسْمُهُ شَعِيبٌ ، وَوَلَدُهُ مَدِينٌ مَدْفُونٌ فِي مِصْرَ .

(طَبَقَاتُ الشُّعْرَانِيِّ رَقْمٌ ٢٧٥) .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : « مَنْ يَنْفَعُهُ » بَدَلُ : « مَنْ يَتَّبِعُهُ » .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ : « وَأَنْارَ بَاطِنَكَ » بَدَلُ : « أَنْارَ بَاطِنَكَ » بِزِيَادَةِ « وَ » .

لتعريف العهد الخارجى ؛ لتقدم ما يستلزم مضمونها ، وهو « منار هدى » (*).

وفى البيت : التثمين فى « فردًا » و « الاتساع » (١):

الحث على طلب أعلى الدرجات (*)

سبق القول فى شرح البيت (رقم ١٥) : أن طلب العبد الانتقال مما أقامه الله فيه ، إلى ما هو أعلى درجة ، لا خطر فيه ، إذا تجرد من رعونة النفس وحظوظها وشهواتها ، وأخلص النية فيه لله وحده ، وقصد الفوز بقربه ، ورضاه تعالى .
وإنك بعد الجد فى العلم والمثابرة على العمل فاعمد إلى تسنم ذروته ، لتتمكن منه ، وتكون من المختصين به ، ولا تقف همتك دون ذلك فإنه قصور أو تقصير ، وكلاهما معيب .
والله الموفق لمعالى الأمور .

* * *

(١) فى المخطوط : « التثمين فى فرد الاتباع » .

٣٢ - وَإِذَا اشْتَاقتْ نَفْسٌ وَجَدَتْ أَلَمًا بِالشُّوقِ الْمُعْتَلِجِ

« وَإِذَا اشْتَاقتْ نَفْسٌ » : أى مَالَتْ إِلَى مَطْلُوبِهَا ، مَيْلًا تَحْرِقُ بِهِ الأَحْشَاءَ ، بَحِيثٌ لَا يَسْكُنُ بِاللِّقَاءِ .

والتنوين : للتكثير ، والتنويع : أى نَفُوسٌ كَثِيرَةٌ صَادِقَةٌ فِي الحَبِيبَةِ ، رَاسِخَةٌ فِي المَعْرِفَةِ .

« وَجَدَتْ أَلَمًا » : تنوينه للتكثير ، والتنويع أيضًا . « بِالشُّوقِ » : أى شَوْقِهَا .

« المَعْتَلِجِ » : أى الشَّدِيدِ . و« أَلٌ » فِي « الشُّوقِ » لَتعريفِ العَهْدِ الخَارِجِيِّ ؛ لِتَقَدُّمِ مَا يَسْتَلْزِمُ مَضْحُوبِهَا .

والاشْتِيَاقُ : أَعْلَى مِنَ الشُّوقِ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْكُنُ بِاللِّقَاءِ كَمَا مَرَّ .. بِخِلَافِ الشُّوقِ . قَالَ ابْنُ عَطَاءِ اللّهِ : « وَالْحَبِيبَةُ أَعْلَى مِنَ الشُّوقِ أَيْضًا ^(١) ؛ لِأَنَّهُ يَنْشَأُ عَنْهَا ، وَيؤْخَذُ مِنْهَا أَعْلَى مِنَ الشُّوقِ أَيْضًا . وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا وَقْفَةٌ .

وَالوَجْهُ : حَمْلُهُ عَلَى الطَّالِبِ لِذَلِكَ .. فَإِذَا قَصَدَ الشُّوقُ ، فَتَحْصِيلُ الحَبِيبَةِ أَعْلَى مِنْهُ فِي حَقِّهِ ؛ لِأَنَّ الثَّمَرَ إِذَا تَكُونُ عَنْ مُشْمِرٍ ، وَالاعْتِنَاءُ بِالمُشْمِرِ قَبْلَ الثَّمَرَةِ أَوْلَى . أَمَا بَعْدُ ^(٢) حُضُولِهِمَا ، فَظَاهِرٌ أَنَّ الشُّوقَ أَعْلَى : كَمَعْرِفَةِ اللّهِ تَعَالَى مَعَ النَّظَرِ المُحْصَلِّ لَهَا .. وَالْحَبِيبَةُ تَنْشَأُ عَنْ قُوَّةِ العِلْمِ بِالمُحْبُوبِ ، فَمَنْ قَوِيَ عِلْمُهُ بِاللّهِ ، كَانَتْ مَحَبَّتُهُ لَهُ أَكْثَرَ ، وَمَنْ عَرَفَ فَضْلَ العِلْمِ وَالعَمَلَ أَحَبَّهُمَا .. وَهِيَ لِكَوْنِهَا مِثْلُ القَلْبِ إِلَى الشَّيْءِ يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ اللّهِ تَعَالَى بِهَذَا المَعْنَى .

فالمراد : لآزِمُهُ . فَمَحَبَّتُهُ تَعَالَى لِعَبِيدِهِ ؛ عِصْمَتُهُ لَهُ ، وَتَوْفِيقُهُ لِلقُرُوبِ مِنْهُ ، وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ بِمَا يَرْقِيهِ ، وَتَفَضُّلُهُ عَلَيْهِ بِمَا يُرْقِيهِ ^(٣) .

(١) فِي المَخْطُوطِ : « أَيْضًا » ساقطة . (٢) فِي المَطْبُوعِ : « مَا بَعْدُ » بَدَلُ : « أَمَا بَعْدُ » .

(٣) فِي المَطْبُوعِ : « بِمَا يَرْضِيهِ » بَدَلُ : « بِمَا يَرْقِيهِ » تَحْرِيفٌ .

وغيثتها : كَشَفُ الحُجُبِ عَن قَلْبِهِ حَتَّى يَرَاهُ بِهِ ، فيكونُ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَجْلِ الوَاصِلِينَ المَقْرَبِينَ ، كما نَبَّه عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيمَا حَكَاهُ عَن رَبِّهِ مِنْ قَوْلِهِ : « فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ... » الحديث (١) .

وَسَبَبُ ذَلِكَ : التَّجَرُّدُ لِلَّهِ ، وَالاِنْقِطَاعُ إِلَيْهِ ، وَالإِعْرَاضُ عَن غَيْرِهِ ، بِصَفَاءِ القَلْبِ ، وَإِصْلَاحِ الحَرَكَاتِ ، وَالسَّكَنَاتِ .

وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذِهِ مَرْتَبَةٌ يَنْشَأُ عَنْهَا الشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ وَحُبِّ المَوْتِ .
« وَجَدْتُ » : مَأْخُوذٌ مِنْ وَجَدَ مَطْلُوبُهُ وَجُودًا : ظَفَرَ بِهِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ ظَافِرًا .

أَوْ مِنْ وَجَدَ ضَالَّتَهُ وَجَدَانًا . بِكسْرِ الوَاوِ : ظَفَرَ بِهَا بَعْدَ ذَهَابِهَا عَنْهُ .
أَوْ مِنْ وَجَدَ وَجْدًا : حَزَنَ . أَيْ حَزِنْتَ مِنْ أَلَمِ الشَّوْقِ .. وَالأوَّلُ هُوَ المُتَبَادِرُ (*).

(١) نص الحديث : « إن الله عز وجل قال : من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب ، ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي مؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .
(صحيح البخارى رقم ٦٥٠٢) .

لَذَّةُ الاِشْتِيَاقِ وَأَلَمُهُ (*)

وَإِذَا تَسَمَّتْ مَنَارُ الهُدَى ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ ، حَتَّى سَطَعَتْ فِي قَلْبِكَ أَنْوَارُ العِلْمِ وَالعِرْفَانِ . فَانْعَمْ قَلْبِكَ بِمَحَبَّةِ اللهِ ، وَالاِشْتِيَاقِ إِلَى لِقَائِهِ تَعَالَى .
= وَفِي هَذَا الاِشْتِيَاقِ لَذَّةٌ قَوِيَّةٌ ، وَأَلَمٌ شَدِيدٌ :

وفى البيت : التَّشْمِيم ، والإيغال ، والاتساع ، والتَّعَطَّف ، وشبه
الجناس .

* * *

= أما لذته : فمن حيث دوام ذكر المحبوب ، ومحبته ، والهيام به ، والأنس بذكره .
أما ألمه : فمن حيث كونه نازًا تضطرم فى الأحشاء ، دائمة الاشتعال . لا تخبو ولا تطفأ باللقاء ،
بل يزيدا اللقاء ضرامًا ، كما يزيدا الحرمان منه احتراقًا ، فتبقى النفس فى الحالين فى ألم شديد .
وأحب بهذا الألم فى سبيل المقصد الأسمى والمطلب الأعلى .
وللعارفين فى مقام الحب والشوق والاشتياق روائع أدبية وشعرية يضيق عنها هذا التعليق الموجز .

* * *

٣٣ - وَثَنَايَا الْحَسَنَاتِ ضَاحِكَةٌ وَتَمَامُ الضُّحْكِ عَلَى الْفَلَجِ

« وَثَنَايَا » : المَرْوَةُ . الْحَسَنَاتِ . بِالْفَتْحِ ، وَالْقَصْرِ ؛ لِلوِزْنِ .. وَبِالضَّمِّ
مُؤنَّثٌ أَحْسَنُ ، كَكُبْرَى وَأَكْبَر .

وهي : أَرْبَعُ . ثِنْتَانِ مِنْ أَعْلَى ، وَثِنْتَانِ مِنْ أَسْفَلِ .

« ضَاحِكَةٌ » : صَاحِبَتُهَا .

« وَتَمَامُ الضُّحْكِ » : مِنْهَا بَكْسِرِ الضَّادِ وَإِسْكَانِ الْخَاءِ : لُغَةٌ فِي الضُّحْكِ .

بِفَتْحِ الضَّادِ مَعَ كَسْرِ الْخَاءِ ، وَإِسْكَانِهَا ، وَبَكْسِرِهِمَا ، كَاثِرٌ .

« عَلَى الْفَلَجِ » : مِنْهَا ، بِفَتْحِ اللَّامِ مِنْ فَلَاحٍ بِكْسِرِهَا . وَهُوَ تَبَاعُدُ مَنَابِتِ

الْأَسْنَانِ ، وَهُوَ حَسَنٌ فِيهَا .

أى : وَأَدَلَّةُ الْعِلْمِ وَأَسْبَابُ الْعَمَلِ وَاضِحَةٌ حَسِينَةٌ ، لَا لَبْسَ فِيهَا ، يَخَافُ

مِنْهَا الْهَلَاكُ وَالْوُقُوعُ فِي الضَّلَالِ ، وَإِنَّمَا يَخَافُ مِمَّا يَعْزُضُ لِلسَّالِكِ مِنْ جِهَةِ

الشَّيْطَانِ ، وَالنَّفْسِ .

وَتَمَامٌ وَضُوحًا بوضوح أضلها ؛ لِأَنَّهُ وَضِعُ مَنْ لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى .

فَشَبَّهَ دَلَائِلَ الْعِلْمِ ، وَأَسْبَابَ الْعَمَلِ ، بِثَنَايَا امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ ، وَكَتَبَ بِكُلِّ مَنْ

الثَّنَايَا ، وَالْفَلَجِ عَنِ الْمَرْوَةِ فِي الْحُورِ الْعَيْنِ . وَبِالضُّحْكِ عَنِ الرِّضَا ، وَالسَّرُورِ ،

أى : الْحُورَاءُ رَاضِيَةٌ مَسْرُورَةٌ ، بِزُوجِهَا الْمُجَدِّ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ ، لَا تَبْغِي بِهِ

بَدَلًا ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ أَجَلَّ مِنْهُ وَأَحْسَنَ .. وَتَمَامٌ رِضَاهَا وَسُرُورَهَا مَعَ حَسَنِ

ذَاتِهَا : أَيْ أَنَّ رِضَاهَا وَسُرُورَهَا ، أَمْرٌ جُبِلَتْ عَلَيْهِ فِي ذَاتِهَا الْحَسَنَاءِ السَّلِيمَةِ

مِنْ كُلِّ نَقْصٍ لَمْ تَتَكَلَّفْهُ لِأَمْرِ تَخَافُ عَلَى نَفْسِهَا أَنْ يَرْغَبَ بِهِ زُوجُهَا عَنْهَا

مِنْ نَقْصِ ذَاتِهَا ، وَسُوءِ خُلُقِهَا . وَنَحْوَهُمَا .

« وَعَلَى » : لِلتَّغْلِيلِ ، أَوْ لِلْمَصَاحَبَةِ ، أَوْ لِلإِسْتِعَانَةِ . وَالْجَمَلَةُ الْأَخِيرَةُ

مَغْطُوفَةٌ عَلَى الَّتِي قَبْلَهَا ، أَوْ حَالٍ مِنْ ضَمِيرِ « ضَاحِكَةٌ » .

وفى البيت : الاتّساع ، والتعطف ، وشبه الجناس ، والتكميل .
والاختيراسُ فى العجز على تقدير أن ذلك كناية (١) : وهو أن يُؤتى فى
الكلام الذى يُوهّم خلاف المراد ، بما يدفع الإيهام ، ومنه قوله تعالى :
﴿ اسلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ... ﴾ (٢) فاخترسَ
بقوله : ﴿ ... مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ... ﴾ (٢) عن إمكان أن يدخُل فى البياض البرصُ
والبهق (٣) :

* * *

(١) فى المطبوع « على تقدير أن ذلك كناية » ساقط .

(٢) سورة القصص ، الآية (٣٢) .

(٣) البهق أو البهاق : وهو يقع بيض رقيقة ، دون البرص تعترى ظاهر البشرة ، ويقال : رجلٌ
أبهق : شديد البياض . (المعجم الكبير) .

المعنى العام

كنى الناظم بالحسنة ذات الثنايا ، والثنايا : أربع أسنان : ٢ من فوق ، و ٢ من أسفل .
والفلج : عن الحور العين الحسان المذكورات فى البيت (٢١) الحادى والعشرين ، وبضحكها الذى يظهر
ثناياها الجميلة - عن سرورها ورضاها بزوجه الذى أمهرها العلم النافع والعمل الصالح . وبتمام
ضحكها الذى يظهر فلجها الحسن ، عن تمام سرورها ورضاها به حتى لا تبغى به بديلاً ، وإن كان أجل
أو أسنّ ؛ لأنهن مجبلن على السرور والرضا بأزواجهن فى جنة الخلد .
وفى هذا البيت مع ما تقدم من شأن الحور العين ورضاها وأن مهورهن الطاعة : الحث على الجِدِّ
فى العلم ، وفى العمل بموجبه .

* * *

٣٤ - وَعِيَابُ الْأَسْرَارِ قَدْ اجْتَمَعَتْ بِأَمَانَتِهَا تَحْتَ الشَّرْحِ

« وَعِيَابُ » : جمع عَيْبَةٍ . وهى : وَعَاءٌ مِنْ جلدٍ تُصَانُ فِيهِ الْأُمْتَعَةُ كَالثِّيَابِ ، وَيُطْلَقُ مَجَازًا ، عَلَى مَنْ هُوَ مَحَلُّ سِرِّكَ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ .. وَمِنْهُ : « الْأَنْصَارُ كَزَيْبَى وَعَيْبَتَى » (١) .

« الْأَسْرَارُ » : جمع سِرٍّ . وهو : مَا يُكْتَمُ . وَفِي نُسَخَةٍ : « وَعِيَابُ السِّرِّ » .
« قَدْ اجْتَمَعَتْ » : أى عِيَابُ الْأَسْرَارِ .

« بِأَمَانَتِهَا » : أى عَلَيْهَا أَوْ مَعَهَا . وَالْأَمَانَةُ : ضِدُّ الْخِيَانَةِ .. وَالْمُرَادُ مَا يُؤْتَمَنُ عَلَيْهِ .

« تَحْتَ الشَّرْحِ » ، بفتح الشَّيْنِ وَالرَّاءِ : أى غَرَى الْعِيَابِ . وَأَرَادَ بِالْأَسْرَارِ : أَسْرَارَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، مِمَّا حَجَبَهُمْ عَنْهُ ، وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ شَاءَ مِنْ اصْطِفَاهِ .

فَشَبَّهَ حَجَبَ الْأَسْرَارِ الْغَيْبِيَّةِ ، فِي مَنْعِهِ الْخَلْقَ عَنْهَا ، إِلَّا مَا يَسَّرُ لَهُ بَعِيْبَةٍ مَمْلُوءَةٍ ، شُدَّتْ بَعْرَاهَا شَدًّا وَثِيْقًا ، حَتَّى لَا يَخْرُجُ مِنْهَا شَيْءٌ ، وَلَا يُطْلِعُ عَلَى مَا فِيهَا إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ فِي حَلِّ عُرَاهَا ، فَيَصِلُ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَمَانَاتِ وَالْأَسْرَارِ .

قال بعضُ العارفين : الْعِلْمُ بِمَنْزِلَةِ الْبَحْرِ ، أَجْرَى مِنْهُ وادٍ ، ثُمَّ مِنْ الْوَادِي نَهْرٌ ، ثُمَّ مِنَ النَّهْرِ جَدْوْلٌ ، ثُمَّ مِنَ الْجَدْوْلِ سَاقِيَةٌ . فَلَوْ جَرَى الْبَحْرُ إِلَى النَّهْرِ ، أَوْ الْوَادِي إِلَى الْجَدْوْلِ ؛ لَغَرِقَهُ وَأَفْسَدَهُ . وَهُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ... ﴾ (٢) .

فَبِحَوْرِ الْعِلْمِ عِنْدَ اللَّهِ أُعْطِيَ الرَّسُلَ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ ، ثُمَّ أُعْطِيَ الرَّسُلَ مِنْ

(١) صحيح البخارى (رقم ٣٨٠١) . (٢) سورة الرعد ، الآية (١٧) .

أوديتها العلماء أنهارًا ، ثم أعطت العلماء من أنهارها العامة جداول بقدر طاقتهم .

والمناسب أن تقيّد العامة بالمتفكّهة . ويُقال : ثم أعطت المتفكّهة من جداولها غيرهم سواقي .

وسبب ذلك أنّ العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القويّة ، كما لا يُبصر الخفاش نور الشمس .

ومما أخفاه الله تعالى عن خلقه : رضاه عنهم ، فهو وإن كان فى الطاعة ، لكن الطاعة التى يعلم العبد أنّ الله يرضى عنه بفعلها وحدها غيب لا يعلمها إلا من أطلعه الله عليها ؛ لئلا يختبر المكلف منها شيئًا .

وكذا غصبه عليهم : مخفيّ فى معصيته لذلك .

وكذا ولاية الله تعالى : مخفية فى خلقه .

قال ابن عطاء الله : « أولياء الله قليل من يعرفهم » .

قال : وسمعتُ الشيخَ أبا العباس المرسي (١) يقول : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى ، فإنه تعالى معروفٌ بكماله ، وجماله ، ومتى تعرفَ مخلوقًا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب (٢) !؟ قال : وإذا أراد الله أن يعرفك بوليّ له ، طوى عنك وجود بشريّته ، وأشهدك وجود خصوصيته . انتهى .

(١) أبو العباس المرسي ، هو : الشيخ الإمام أحمد . أبو العباس المرسي . كان من أكابر العارفين .. وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي عنه غير أبي العباس المرسي . وهو أجل من أخذ عنه الطريق ، ولم يضع شيئًا من الكتب ، توفى سنة ٦٨٦ هـ . (طبقات الشعراني رقم ٣١٠) .
(٢) ذكر له هذا القول فى (طبقات الشعراني ١٥/٢) .

فوجودُ البَشَرِيَّةِ كالعَبِيَّةِ المَشْرُجَةِ عَلَى أمانَتِها ، وهى وُجُودُ
الْحُصُوصِيَّةِ الْمَسْتُورَةِ بها .

وحكمةُ هَذَا الإخفاءِ : حُسْنُ الظَّنِّ بَيْنَ الخَلْقِ ، وهو مِنْ أَجْلِ القُرْبَاتِ .
والمقصودُ بهذا البيتِ : أَنَّ ما أُخْفِيَ عَنِ العالِمِ الرَّاسِخِ ، والعارِفِ
المُكاشِفِ : أَكْثَرُ ما عَرَفَهُ ؛ لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ إِنَّمَا يَعْلَمُ ما فَتَحَ اللهُ بِهِ عَلَيْهِ وَاللهُ
تعالى يقولُ : ﴿ ... وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ... ﴾ (٢) .
﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِما شاءَ ... ﴾ (٣) .

فإِذا ارْتَضَى اللهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ أَطْلَعَهُ عَلَى بَعْضِ تِلْكَ الأَسْرارِ المَغِيْبَةِ
اللَّدْنِيَّةِ كما قالَ فى حَقِّ الخِضْرِ (٤) : ﴿ ... وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ (٥) .

وفى البيتِ (*) : الإيغال :

- (١) سورة الإسراء ، الآية (٨٥) .
- (٢) سورة هود ، الآية (١٢٣) .
- (٣) سورة البقرة ، الآية (٢٥٥) .
- (٤) الخضر : اختلف فى اسمه ونسبه ونبوته إلى أقوال عدة .
- انظر : « البداية والنهاية » (٣٢٦/١) .
- وقد حظى عند الصوفيين بمركز ممتاز ، إذ أن كثيرا ما ادعوا اتصالهم المباشر به .
- (٥) سورة الكهف ، الآية (٦٥) .

العلوم الغيبية قد تفيض على بعض الخواص (*)

بين الناظم والشارح أن المَغِيْبَاتِ تَحْجُبُ معرفتها عن الناس إلا ما شاء اللهُ إظهاره منها ، لمن شاء ،
وذلك كنفائس الأمانات ، التى توضع فى أوعية محكمة الإقفال ، لا يخرج منها شىء ، ولا يطلع أحد
على ما فيها إلا من أذن له فى حل عراها ليصل إلى شىء مما فيها :
﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إِلَّا هُوَ ... ﴾ [سورة الأنعام ، الآية ٥٩] .

* * *

= ومفاتيح الغيب : خزائنه .

وقد يظهر الله الرسول على شيء من غيبه ، فيعلمه على النحو الذى أراده الله ، وبالقدر الذى تقتضيه الحكمة : ﴿ غَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ... ﴾ .

[سورة الجن ، الآيتان ٢٦ ، ٢٧]

فإنه يطلع على بعض غيبه بالقدر الذى تقتضيه الحكمة : ﴿ ... وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٢٥٥] .

على أنه بعد إظهاره لا يكون من عالم الغيب ، بل من عالم الشهادة ، وتسميته « غيبًا » ، إنما هو بحسب الظاهر أو بالنسبة لغير الرسل من الناس .

وهذا لا ينافى الآية كما نصوا فى التفسير إظهار الله بعض أصفياه على ما شاء من غيبه تلميح وكرامة . وتصريح ومعجزة بالنسبة للرسل .

* * *

٣٥ - وَالرَّفْقُ يَدُومُ لِصَاحِبِهِ وَالخَرْقُ يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ

« وَالرَّفْقُ » : وهو التَّوَسُّطُ ، وَاللِّطَافَةُ ^(١) فِي الْأَمْرِ ، وَالْفِعْلُ مِنَ الْأَوَّلِ « رَفِقَ » بِالْفَتْحِ ، وَمِنَ الثَّانِي بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ « يَدُومُ » بِهِ الْعَمَلُ .
 « لِصَاحِبِهِ وَالخَرْقُ » بِفَتْحِ الْخَاءِ مُصَدَّرٌ : (خَرْقٌ) بضم الرءاء ، وَيُقَالُ بِكسْرِهَا : ضِدَّ الرَّفْقِ . وَبضمَّ الْخَاءِ : اسْمٌ لِلْحَاصِلِ بِالْفِعْلِ .
 « يَصِيرُ إِلَى الْهَرَجِ » بِإِسْكَانِ الرَّاءِ : الْفِتْنَةُ وَكَثْرَةُ الْفَسَادِ ، وَبِفَتْحِهَا : تَحْيِيرُ الْبَصْرِ .. لِكَتِّهِ عَلَى الْأَوَّلِ فَتَحُّهَا أَيْضًا لِلوزْنِ .
 وَهُوَ بِالْمَعْنَيَيْنِ : كِنَايَةٌ عَنِ انْقِطَاعِ الْفِعْلِ ؛ لِأَنَّ الْفِتْنَةَ وَالتَّحْيِيرَ لَا يَدُومُ مَعَهُمَا فِعْلٌ .

أَيْ : مِنْ ^(٢) سَلَكَ فِي كُلِّ مَا مَرَّ مِنَ الْمَطَالِبِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ : الرَّفْقُ مَعَ النَّاسِ فِي تَخْصِيلِهَا ، وَلَمْ يُجْهِدْ نَفْسَهُ .. دَامَتْ لَهُ فَاسْتِفَادَ وَأَفَادَ ، وَهَدَى وَاهْتَدَى .

وَمَنْ كَلَّفَ نَفْسَهُ فَوْقَ طَاقَتِهَا ، وَعَامَلَ النَّاسَ بِصَلَابَةِ الْجَانِبِ ، لَمْ تَدُمْ لَهُ ، لِجَهْلِهِ ، فَضْلٌ وَأَضَلُّ ^(٣) .

وَمَا ذَكَرَهُ فِي الْبَيْتِ رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ بِلَفْظٍ : « مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا زَانَهُ ، وَمَا كَانَ الْخَرْقُ ، وَفِي رِوَايَةٍ : (الْفَحْشُ) فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ » ^(٤) .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : « الطَّافَةُ » بَدَلَ : « اللَّطَافَةُ » تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْمَطْبُوعِ : « مَنِ » بَدَلَ : « مَنْ » .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ : « فَضْلٌ وَأَفْضَلُ » بَدَلَ : « فَضْلٌ وَأَضَلُّ » .

(٤) الْإِحْسَانُ فِي تَرْتِيبِ أَحَادِيثِ ابْنِ حِبَّانَ (١/٣٨١) .

وَاللَّفْظُ عَنِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .. وَقَدْ رَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْأَلْفَاظِ الْمُخْتَلِفَةِ .

وروى البخاريّ خبر : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » (١) .
وخبر : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا
وَأَبْشِرُوا » (٢) .

وفي البيت : المقابلة .

والعقد : هو أَنْ يَنْظِمَ نَثْرًا ، قَرَآنًا ، أَوْ حَدِيثًا ، أَوْ مَثَلًا ، أَوْ غَيْرِهِ .
لا على وجه الاقتباس .

والفرق بينهما : أَنَّ الاقتباسَ نَظْمُ قَرَآنٍ أَوْ حَدِيثٍ خَاصَّةً ، بَلْفِظِهِ
أَوْ بِتَغْيِيرِ يَسِيرٍ ، وَلَا يَنْبُتُهُ عَلَى أَنَّهُ مِنْهُمَا . كما مرّ ، بخلاف العقد في
جميع ذلك .

وبراعة الختام : وهي سُهولة اللَّفْظِ ، وَحَسَنُ السَّبْكِ ، بِحَيْثُ يَوَسِّسُ فِي
النَّفْسِ ، وَيَتَلَقَّاهُ السَّمْعُ ، وَيَسْتَلِدُّهُ (*) .

(١) صحيح البخاري (رقم ٦٠٢٤) . (٢) صحيح البخاري (رقم ٣٩) .

الرفق ومدحه ، والخرق وذمه (*)

« الرفق » : التوسط واللطافة في الفعل .

وضده « الخرق » بفتح الخاء ، وأما بضمها فهو اسم للحاصل بالفعل .

« الهوج » بسكون الراء : الفتنة ، وحرك للوزن ، وبفتحها : تحيير البصر .

وفي الحديث : « الرفق خير كله » . و« ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما كان الخرق في شيء

إلا شانه » ، و« إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ » .

وحسب الرفق منقبة أن الله يحبه ويصف به نفسه .

أما الخرق ، فهو بعكس الرفق . شرّ كله ، يشين صاحبه عند الله والناس ، والأخرق مشعوم يجبر

على نفسه وعلى الناس الويلات والنكبات ! أينما توجه لا يأت بخير !

والخرق : إما إفراط وإسراف فيما لا خير فيه ، وإما تفریط وإهمال فيما فيه خير ، وكلاهما مذموم

في كل حال .

ويَجْبُرُ مَا وَقَعَ فِيمَا سَبَقَ مِنَ التَّقْصِيرِ إِنْ كَانَ وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ
كَذَلِكَ ، وَهُوَ أَجْوَدُ بَيْتٍ يَحْسُنُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ ، بَلْ عَلَى كُلِّ مِضْرَاعٍ مِنْهُ ،
لِتَضْمُنِيهِ مَا وَرَدَ فِي الْحَبِيرِ ، كَمَا عُرِفَ .

وَلَمَّا فَرَعَ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى التَّصْفِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ ، وَالتَّزْكِيَةِ النَّفْسِيَّةِ ، وَعَلَى
الْمَقَامَاتِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَالْحِكْمِ النَّبَوِيِّ خَتَمَ ذَلِكَ بِالِدَّعَاءِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ الْوَاضِعِ لِتِلْكَ الْمَسَائِلِ ، وَالْأَصْحَابِ الْأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ ، الْحَافِظِينَ ،
طَرِيقَتَهُ ، الْكَاشِفِينَ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَعَنْ سَائِرِ
الصَّحَابَةِ فَقَالَ :

* * *

= والرفق : هو الوسط بين الطرفين ، وهو الاعتدال المحمود الذي يؤتى أطيب الثمرات في سائر
الأمر من العلم والعمل في العبادات ، والمعاملات ، وفي الأخلاق والعادات :
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ... ﴾ [سورة البقرة ، الآية ١٤٣] .
فمن العقل والحكمة الاعتدال في كل الأمور .

* * *

٣٦ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى الْمَهْدِيِّ الْهَادِي النَّاسِ إِلَى النَّهَجِ

« صَلَوَاتُ اللَّهِ » تعالى ، جمع : الصلاة . باعْتِبَارِ أَنْوَاعِهَا .
وهي من الله رحمة ، ومن الملائكة : اسْتِغْفَار .
ومن الآدمي : تَضَرُّعٌ ودعاء .

كائنة « عَلَى » النبي محمد . بن ، عبد الله بن عبد المطلب . بن هاشم
واسمه : عمرو . ابن عبد مناف . بن قُصَيِّ . بن كِلَابِ بن مُرَّة . بن كَعْبِ
ابن لؤي . بن غالب . بن فهر . بن مالك . بن النَّضْرِ . بن كِنَانَةَ . بن خُزَيْمَةَ .
ابن مُدْرِكَةَ . ابن إلياس . بن مُضَرَ . بن نَزَارِ . بن معد بن عدنان .
« المَهْدِيُّ » بفتح الميم : أي الرّشيد الموقِّ بِحَلْقِ الْهُدَى فيه ؛ لوجوبِ
عُضْمَتِهِ .

« الْهَادِي » : أي المرشِد .

« النَّاسِ » : مِنَ الْإِنْسِ ، وَالْجِنِّ . بِالتَّضْبِ بِالمفعولية ، وبالجرِّ بالإضافة .
« إِلَى النَّهَجِ » بفتح الهاء في لغة ، وفي لغة^(١) إسكانها : أي الطَّرِيقِ
المستقيم . قَالَ تَعَالَى : ﴿ ... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٢) : أي
الدين الشَّيْبِيهِ فِي وُضُوحِهِ وَأَمْنِهِ بِالطَّرِيقِ الْوَاضِحِ .
فاسْتَعِيرَ « النَّهَجُ » فِي النَّظْمِ ، وَ« الصِّرَاطُ » فِي الْآيَةِ لِمَا أَتَى بِهِ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ .

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : « بفتح الهاء لغة في إسكانها » بدل : « بفتح الهاء في لغة وفي لغة إسكانها » .

(٢) سورة الشورى ، الآية (٥٢) .

وقد ذكر في المخطوط : ﴿ ... وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ بدل الآية المذكورة ،

وهي الآية (رقم ٢١٣) سورة البقرة .

والجملة : خَبْرِيَّةٌ لَفْظًا ، إِنْشَائِيَّةٌ مَعْنَى .. عَدَلَ مِنْهَا إِلَيْهَا ، لِلْمَبَالَغَةِ فِي
وُقُوعِ الصَّلَوَاتِ ، فَكَأَنَّهَا ثَابِتَةٌ ، أَخْبَرَ عَنْهَا بِالْحُصُولِ .
وَكَانَ حَقُّهُ ذِكْرَ السَّلَامِ أَيْضًا ؛ لِأَنَّهُ يُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلَاةِ عَنْهُ وَبِالْعَكْسِ ،
وَلَعَلَّهُ ذَكَرَهُ لَفْظًا .

وفى البيت : شبه الأزواج ، وشبه الجناس ، والتثمين ، والإيغال .
وتدبيج الاشتراك وهو : اشتراك المصراعين فى كلمة واحدة وهى هنا :
« المهدى الهادى » لأن آخر الأول منهما ^(١) الياء المدعّمة ، وأول الثانى
المدعّم فيها .

* * *

(١) فى المخطوط : « المهدى ، لأن آخر الأول منها » بدل المذكور : « المهدى الهادى لأن آخر
الأول منهما » .

خاتمة القصيدة

ختم الناظم قصيدته بالصلاة والسلام - وإن كان لم يصرح « بالسلام » لضيق النظم - على أفضل
الرسول ، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد بن عبد الله الذى بعثه رحمة للعالمين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله
يأذنه وسراجًا منيرًا ، فشرع للأمة بوحى من الله شرائع الحق والعدل والهدى والرشاد فى الدين والدنيا
فكانت حكمة وسعادة لمن اتبع سبيلها وانتهج طريقها ، واتخذها دستورًا للحياة الدنيوية والأخروية .
وأفسح للعقول السليمة مجال النظر والتفكير والبحث والاجتهاد لاستنباط أحكام ما يجد من
الوقائع ، وأجمع عليها مجتهدوا الأمة على نهج مستقيم يكفل صحة الاستنباط ، وصواب النظر
والاجتهاد .

* * *

٣٧ - وأبى بكر في سيرته ولسان مقالته اللّهج

«و» على الإمام . «أبى بكر» وهو أفضل الصحابة .
واسمه : عبد الله ، بن أبى قحافة عثمان بن عامر ، بن عمرو ،
ابن كعب ، بن سعد ، بن تميم ، بن مرة القرشي ، التيمي .
يلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم في (مرة) ، ويقال له : عتيق ؛
لعتاقه وجهه : أى جماله .

وقيل : إنه صلى الله عليه وسلم قال فيه : «من سره أن ينظر إلى عتيق
من التار ، فلينظر إلى هذا» (١) .

و(صديق) لمبادرته إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فى جميع
ما جاء به ، فهو صادق .

« فى سيرته » : أى طريقته التى منها مبادرته للإسلام مع وجاهته ،
ورياسته ، ومنها : إنفاقه ما أسلم عليه من ماله وهو أربعون ألفاً فى سبيل
الله ، وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإعتاقه سبعة ممن كان يعدب فى
ذات الله ، كبلال ، وعامر بن فهيرة .

« و » فى « لسان مقالته : اللّهج » بكسر الهاء . أى : المشابرة على
الصدق من : لهج به يلهج لهجاً مثل : فرح يفرح فرحاً .
وفى قول : « لسانه » فاللهج صفة اللسان ، ويجوز أن يكون صفة
لأبى بكر .

وبالغ فيما قاله ، فجعل لسان قوله ، ظرفاً للصدق ، فلا يتحرك إلا به ،

(١) فى هامش المخطوط : « وفى رواية : إلى أبى بكر » .

والحديث رواه الحاكم فى (المستدرک ٦١/٣) .

كما قال : إنَّ سيرته ، ظرفٌ للصدق ، فاستوى ظاهره وباطنه ؛ لأنَّ الأفعال والأقوال دلائل السرائر ، وذلك غاية الكمال .
و « فى » هنا ، وفيما يأتى ، للظرفية أو للسببية ، أو للمصاحبة (*) .
وفى البيت : التكميل .

* * *

أبو بكر الصديق رضى الله عنه (*)

أى وعلى أول الخلفاء الراشدين أبى بكر الصديق : عبد الله بن أبى قحافة . يلتقى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى (مرة) .
وهو أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثرهم عنده ، وأول من آمن به من الرجال ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأول من يدخلها مع رفيقه فى الهجرة وفى الغار وفى العريش يوم بدر ، وإمام المسلمين فى الصلاة بأمره صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه ، وقد صلى - عليه الصلاة والسلام - خلفه ، مؤتمًا به فى مرضه ، وقد أعتق سبعة ممن كانوا يعذبون فى سبيل الله ، لإيمانهم بالرسالة كبلال وابن فهيرة ، وأنفق ما أسلم عليه من ماله فى سبيل الله وعلى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أربعون ألف .
ولما ولى الخلافة قام مقام صدق فيها ، وحارب أهل الردة من العرب ، حتى استقام الأمر وعز الإسلام ، وجمع صحف القرآن وسماه « مصحفًا » .
وتوفى لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .. عن ثلاث وستين سنة ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بين القبر والمنبر ، ودفن مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فجعل رأسه عند كتفيه عليه الصلاة والسلام .

* * *

٣٨ - وَأَبِي حَفْصٍ وَكَرَامَتِهِ فِي قِصَّةِ سَارِيَةَ الْخُلُجِ

« وَ » : عَلَى الْإِمَامِ .

« أَبِي حَفْصٍ » : عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، بَنُ نُفَيْلٍ ، بَنُ عَبْدِ الْعَزْزِيِّ ، بَنُ رَبِيعٍ ، ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، بَنُ قَرْظٍ ، بَنُ رَزَّاحٍ ، بَنُ عَدَى ، بَنُ كَعْبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ .

يَلْتَقِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي (كَعْبِ) .

« وَكَرَامَتِهِ » : أَى الْمَعْرُوفَةِ الظَّاهِرَةِ .. إِذْ لَهُ كَرَامَاتٌ أُخْرَى . وَفِي نَسْخَةٍ : « وَفِرَاسَتِهِ » « فِي قِصَّةِ سَارِيَةَ » بَنُ حَضْنٍ ، أَوِ الْحُصَيْنِ ، أَوِ زَيْنَمِ الدِّيَلَمِيِّ (١) .

مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، يَخْطُبُ بِالْمَدِينَةِ ، فَرَأَى الْعَشْكَرَ بِ(نَهَاوَنْدِ) (٢) وَجَعَلَ يَصِيحُ : « يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ الْجَبَلِ » فَصَعَدَ سَارِيَةَ وَجُنْدَهُ الْجَبَلِ ، وَقَاتَلُوا الْكُفَّارَ فَهَزَمُوهُمْ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ إِلَى عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَجَاءَهُ الْبَشِيرُ بَعْدَ شَهْرٍ ، وَأَضَافَ « سَارِيَةَ » إِلَى « الْخُلُجِ » بِضَمِّ الْخَاءِ وَاللَّامِ : قَوْمٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ عَدْوَانَ (٣) ، فَأَلْحَقَهُمْ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، بِالْحَارِثِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ (٤) .

(١) هُوَ : سَارِيَةُ بْنُ زَيْنَمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكِنَانِيُّ : صَحَابِيُّ ، مِنَ الشُّعْرَاءِ ، الْقَادَةِ الْفَاتِحِينَ .. كَانَ لَصًّا فَاتِكًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، كَثِيرَ الْغَارَاتِ ، يَسْبِقُ الْفَرَسَ عَدْوًا عَلَى رَجْلَيْهِ . أَسْلَمَ لَمَّا ظَهَرَ الْإِسْلَامُ وَجَعَلَهُ عَمْرُ ابْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ وَسَيَّرَهُ إِلَى بِلَادِ فَارَسَ سَنَةَ ٢٣ هـ ، وَهُوَ الْمَعْنَى فِي قَوْلِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ » . (الْإِصَابَةُ ، تَرْجَمَةُ رَقْمِ ٣٠٣٤) ..

(٢) نَهَاوَنْدِ : مَدِينَةٌ فِي بِلَادِ الْجَبَالِ ، جَنُوبِي هَمْدَانَ . بَيْنَهُمَا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ فَرَسَخًا وَبِهَا آثَارُ حَسَنَةِ الْفَرَسِ ، وَفِي وَسْطِهَا حَصْنٌ عَجِيبُ الْبِنَاءِ ، عَالِي السَّمَكِ ، وَبِهَا قُبُورُ جَمَاعَةٍ مِنَ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ .. (مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ) .

(٣) عَدْوَانَ : كَانَتْ تَتَوَلَّى الْإِفَاضَةَ عَلَى سَعْيِ الْحَجِيجِ بَيْنَ عَرَفَاتٍ وَمِزْدَلِفَةَ ، وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ قَيْسِ .

(٤) لَعْلَهُ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكِ الْكِنَانِيُّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْبُرْصَاءِ . سَكَنَ مَكَّةَ ، ثُمَّ الْمَدِينَةَ وَبَقِيَ حَتَّى خِلَافَةِ

مَعَاوِيَةَ . انظُرْ : « الْإِصَابَةُ » (٦٨٨ / ١) .

وسئوا بذلك ؛ لأنهم اختلجوا من عُذوان : أى اقتطعوا . قاله الجلال السيوطى ^(١) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى اختلجُوا من عُذوان .

وبفتحِهما : أن يشتكى الرجلُ عِظَامَهُ مِنْ عَمَلٍ أَوْ طَوِيلٍ مَشِيٍّ وَتَعَبٍ .
وبفتح الحَاءِ ، وكسر اللّامِ : المُسْتَكِي مِنْ ذَلِكَ ، تَنْبِيْهَا عَلَى عِظَمِ
الأمرِ وشِدَّةِ الكُربِ .

كقولهم فى جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (شَيْبَةَ الحَمْدِ) لكثرة
حمد النَّاسِ لَهُ فى الأُمُورِ .

وقولهم فى طَلْحَةَ الصَّحَابِيِّ : (طَلْحَةُ الخَيْرِ) ^(٢) لكثرة خَيْرِهِ .
ويجوز : جعله نَعْتًا لِسَارِيَةِ ، وَإِنْ كَانَ مُصَدَّرًا ، بِتَقْدِيرِ : فَتَحَ اللّامِ ؛
لأنَّ المُصَدَّرَ يُنْعَتُ بِهِ عَلَى المُبَالِغَةِ .

أَوْ لِتَأْوِيلِهِ : بِالوُضْفِ .. وَالكَرَامَةِ : أَمْرٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ عَلَى يَدِ وَلِيِّ ،
غَيْرِ مُقَارَنٍ لِدَعْوَى النُّبُوَّةِ مِنْهُ .

(١) جلال الدين السيوطى (٨٤٩ - ٩١١ هـ) ولد بالقاهرة ، ونشأ يتيمًا ، وحفظ القرآن وهو
دون ٨ سنوات ونبغ فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والبديع واللغة ،
وسافر إلى الشام ، واليمن ، والحجاز ، والهند ، والمغرب . وقد أنافت مؤلفاته على ٧٠٠ كتاب منها :
« طبقات المفسرين » ، و « طبقات الحفاظ » .

(٢) هو طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه : صحابى من العشرة المبشرين بالجنة . هاجر مع النبى
صلى الله عليه وسلم ، وجرح فى الدفاع عنه فى أحد .
وأحد الستة الشورى ، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، وقالت عائشة رضى الله عنها : كان
أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك يوم كله لطلحة ، وسماه النبى صلى الله عليه وسلم (طلحة الخير
وطلحة الجود ، وطلحة الفياض) .

استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين .

وفيهما تثبيّت له ؛ ولهذا رُبّما وجدّها أهلُ البِدَايَاتِ فِي بِدَايَتِهِمْ ،
وفقدّها أهلُ التّهَايَاتِ فِي نِهَائِيَتِهِمْ ؛ لِأَنَّ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرُّسُوحِ ، وَالتَّمَكُّنِ
لَا يَخْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى تَثْبِيَتِ ؛ وَلِذَلِكَ قَلَّ ظُهُورُهَا عَلَى يَدِ السَّلَفِ الصَّالِحِ
مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَمْرَ الْخَارِقَ لِلْعَادَةِ بِالتَّسْبِةِ إِلَى النَّبِيِّ (مُعْجِزَةً) سِوَاءَ ظَهَرَ مِنْ
قَبْلِهِ ، أَمْ مِنْ قَبْلِ آحَادِ أُمَّتِهِ .

وَالتَّسْبِةُ إِلَى الْوَلِيِّ (كِرَامَةً) لِحُلُوهُ عَنْ دَعْوَى نُبُوَّةٍ مِنْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْ
قَبْلِهِ .

وَالتَّسْبِةُ إِلَى غَيْرِهِمَا (خُذْلَانٌ وَاسْتِدْرَاجٌ) .

وَالنَّبِيُّ لَا بَدَّ مِنْ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ (نَبِيٌّ) ، وَمِنْ قَصْدِهِ إِظْهَارُ الْخَوَارِقِ ، وَمِنْ
حُكْمِهِ قَطْعًا بِمُوجِبِ الْمُعْجِزَاتِ .

بِخِلَافِ الْوَلِيِّ ، وَصَاحِبِ الْكِرَامَةِ لَا يَسْتَأْنِسُ بِهَا ، بَلْ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ ؛
مَخَافَةً أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا .

وَالْمُسْتَدْرَجُ يَسْتَأْنِسُ مِمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِ ^(١) ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَحْقِرُ غَيْرَهُ ،
وَيُنْكِرُ عَلَيْهِ ، وَيَحْضِلُ لَهُ الْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ .

فَإِذَا ظَهَرَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَى مَنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ
اسْتِدْرَاجٌ لَا كِرَامَةٌ .

وَلِذَلِكَ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ : أَكْثَرُ مَا تُفِيقُ مِنَ الْانْقِطَاعِ عَنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ ،

(١) فِي الْمَطْبُوعِ : « بِمَا شَهِرَ عَلَيْهِ » بَدَلَ : « مِمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِ » .

إِنَّمَا وَقَعَ فِي مَقَامِ الْكَرَامَاتِ ، وَلِذَلِكَ كَانُوا يَخَافُونَ مِنْهَا كَمَا يَخَافُونَ مِنْ أَشَدِّ الْبَلَاءِ (*) .

وَفِي الْبَيْتِ : التَّمْلِيحُ : مِنْ لَمَحَهُ : إِذَا نَظَرَهُ وَهُوَ : أَنْ يُشِيرَ فِي الْكَلَامِ إِلَى قِصَّةٍ ، أَوْ شِعْرٍ ، أَوْ مِثْلِ سَائِرٍ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبَيِّنَ وَاحِدًا مِنْهَا فِيهِ ، كَمَا أَشَارَ إِلَى (قِصَّةِ سَارِيَّةِ) وَلَمْ يَبَيِّنْهَا .

عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ (*)

أَبُو حَفْصٍ : كُنِيَّةُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَسَارِيَّةُ بِنْتُ حِصْنِ الدَّيْلَمِيِّ : قَائِدُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي (نَهَاوَنْد) ، وَقَدْ أَطْلَعَ اللَّهُ عُمَرَ ، وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ فِي الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْعَسْكَرِ فَرَأَاهُمْ مُحْصُورِينَ ، فَجَعَلَ يَصِيحُ : « يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلِ الْجَبَلِ » فَسَمِعَ سَارِيَّةُ الصَّوْتِ ، فَانْتَحَى بِالْجُنْدِ إِلَى الْجَبَلِ ، وَقَاتَلَ الْعَدُوَّ حَتَّى انْتَصَرَ ، وَكُتِبَ بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَكَانَ كَمَا وَقَعَ .
وَهَذِهِ إِحْدَى كَرَامَاتِ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَعُمَرُ : ثَانِي الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَهُوَ : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، بِنُ نَفِيلٍ ، بِنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ ، بِنِ رِبَاعٍ ، ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، بِنِ قُرْزٍ ، بِنِ رِزَاحٍ ، بِنِ عَدِيِّ ، بِنِ كَعْبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ .
يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَدِّهِ (كَعْبِ) .

وَعُمَرُ : هُوَ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ بِإِسْلَامِهِ الْإِسْلَامَ ، وَأَحَدَ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، وَنَزَلَ الْقُرْآنَ بِمُؤَافَقَتِهِ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ وَكَانَ شَدِيدًا صَارِمًا فِي الْحَقِّ ، وَفَتَحَ اللَّهُ الْفَتْوحَ الْعَظِيمَةَ عَلَى يَدَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ وُلِيَ الْخِلَافَةَ . وَمَنَاقِبُهُ لَا تَكَادُ تَحْصَى .

وَقَدْ طَعَنَ بِيَدِ أُتَيْمَةَ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ ، لَسْتَ بِقَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، عَنْ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً ، وَدَفِنَ يَوْمَ الْأَحَدِ ، هَلَالِ الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، بِجَوَارِ رَفِيقِهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، فَكَانَا رَفِيقَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحِجْرَةِ بَعْدَ الْوَفَاةِ ، كَمَا كَانَ رَفِيقَهُ الْمَلَازِمِينَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ . وَتَلَّكَ مَنَقِبَةً عَظِيمَةً لِلشَّيْخِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

٣٩ - وَأَبِي عَمْرٍو وَذِي الثَّوْرَيْنِ الْمُسْتَحْيِ الْمُسْتَحْيَا الْبُهَجِ

« و » على الإمام . « أَبِي عَمْرٍو » ، ويقال له : أبو عبد الله ، وأبو ليلى .
عثمان بن عفان بن أبي العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن
عبد مناف ، بن قصي الأموي .

يلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم في (عبد مناف) .

« ذِي الثَّوْرَيْنِ » لأنه تزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم : زُفَيَّة ، ثم
أم كلثوم رضي الله عنهما ، وبعد موتهما قال له النبي صلى الله عليه وسلم :
« لَوْ كَانَ لِي غَيْرُهَا لَزَوَّجْتُكَهَا » (١) .

« الْمُسْتَحْيِ الْمُسْتَحْيَا » بكسر ياء أحدهما ، وفتح ياء الأخرى .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً بحافة بئرٍ وهو مكشوفُ
الفخذِ ، فدخل أبو بكرٍ ، فلم يُغَطِّ فُخْدَهُ ، ودخل عمرُ فلم يغطِّه ، ودخل
عثمان فغطَّاهُ ! وقال : « أَلَا نَسْتَحْيِي مِمَّنْ اسْتَحْيَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ » ؟! رواه
البخاري (٢) وغيره .

وَرَوَى أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَثْمَانُ أَحْيَا أُمَّتِي ،
وَأَكْرَمَهَا » (٣) .

وفي نسخة : « الْمُسْتَهْدِي الْمُسْتَحْيِي » ، وفي أخرى : « الْمُسْتَحْيِي
الْمُحْيِي » بكسر ياء الأول أو فتحه ، وفتح ياء الثاني : إشارة إلى أنه شهيدٌ ،
فهو حيٌّ ينص القرآن .

(١) انظر : « البداية والنهاية » (٣٩/٥) .

(٢) أخرجه مسلم في « فضائل الصحابة » (٢٦) ، وأحمد (٧١/١) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٥٦/١) .

« البهيج » بالموحدة : أى حسن الخلق والخلق .

قال ابن عبد البر^(١) : كان جميلاً ، طويل اللحية ، حسن الوجه .
وقال فى موضع آخر : كان رُبعة ، حسن الوجه ، رقيق البشرة ، عظيم
اللحية ، أسمر اللون كان يصفر لحيته ، ويشد أسنانه بالذهب !
وفى نسخة : « النهج » بالتون من نهج الطريق : أى وضح ، أو من
نهج ، وأنهج : أى بلى ، أو من نهجت الطريق ، وأنهجته : أى أوضخته .
فيكون على الأول : إشارة إلى اشتهاه فضل عثمان ووضوحه ، كوضوح
الطريق المسلوكة .

وعلى الثانى : إشارة إلى ما أصيب به فى ذات الله تعالى من انتهاك
حرمة ؛ لأنّ بلاء الثوب إنما يكون غالباً بقلّة المبالاة فى استعماله .
وعلى الثالث : إشارة إلى إيضاحه طريق الإسلام بتمييز القرآن عن
غيره ، وجمعه له فى المصاحف ، وتوجيهها لأمصار المسلمين^(*) .

(١) ابن عبد البر : هو أبو عمر . يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي : من كبار
حفاظ الحديث : أديب ، ومؤرخ ، ولد بقرطبة ، وولى قضاء لشبونة ، وشتتين . له : « جامع بيان
العلم وفضله » ، و « الاستيعاب » وغيرهما . توفى سنة ٤٦٣ هـ .
(وفيات الأعيان ٣٤٨/٢ ، والصلة ٦١٦) .

عثمان بن عفان رضى الله عنه^(*)

أبو عمرو أو أبو عبد الله ، أو أبو ليلى كنيته : عثمان رضى الله عنه .
ذى النورين لقبه ، لتزوجه (رقيقة) ، ثم (أم كلثوم) بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وهو عثمان ، بن عفان ، بن أبى العاص ، بن أمية ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، بن قصي
القرشي الأموي .

.....

وفى البيت : الجناس المحرّف :

* * *

= يلتقى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى (عبد مناف) وهو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام ،
وأحد العشرة المبشرين بالجنة .

هاجر الهجرتين ، وتزوج السيدتين الكريمتين بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إحداهما بعد
موت الأخرى ، وبعد الثانية قال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لو كان لى غيرها لزوجتكها » .
وهو الذى أمر بجمع القرآن وكتابة المصحف الإمام ، وإرساله إلى أقطار الإسلام ، فكان ذلك أعظم
مِنَّة على المسلمين إلى يوم الدين .

وهو أحد الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ .
وقد جهز جيش العسرة من ماله .

واشترى من ماله موضع خمس سوار ، وزادها فى المسجد النبوى الشريف .
استشهد وهو يقرأ القرآن فى المصحف ، يوم الجمعة لثمانى عشرة خلت من ذى الحجة ، سنة خمس
وثلاثين . عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر على الأصح . ودفن فى البقيع رضى الله عنه .

* * *

٤٠ - وَأَبَى حَسَنِ فِي الْعِلْمِ إِذَا وَافَى بِسَحَائِبِهِ الْخُلُجِ

« وَ » عَلَى الْإِمَامِ . « أَبِي حَسَنِ » : عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (*) .
واسمه : عبد مناف ، بن عبد المطلب . جدّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
ويقالُ له : « شَيْبَةَ الْحَمْدِ » كما مرَّ ابنُ هاشِمٍ ، بنُ عبد مناف ، بن قصيِّ
القرشيِّ الهاشميِّ .
يُفْزَعُ إِلَيْهِ « فِي الْعِلْمِ إِذَا وَافَى بِسَحَائِبِهِ » جَمْعُ : سَحَابَةٌ ، وَهِيَ :
الغَيْمُ ، كما مرَّ .

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (*)

أبو الحسن : كنيته عليّ كرم الله وجهه .
وهو عليّ ، بن أبي طالب ، بن عبد المطلب ، بن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم .
فهو أول هاشمي يولد من أبوين هاشميين .
ورابع الخلفاء الراشدين ، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم .
وأول من آمن به من الصبيان . وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترتيبه ، وهو
الذي نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة حتى ظن المشركون أن النائم هو محمد صلى الله
عليه وسلم .
وهو زوج فاطمة رضى الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد رزق منها : الحسن والحسين ، ومُحَسَّنُ الَّذِي مَاتَ صَغِيرًا ، وزَيْنَبُ ، وَأُمُّ كَلْثُومِ .
وأحد العشرة المبشرين بالجنة .
تعهدته الرسول صلى الله عليه وسلم طفلاً ، ورباه صبيّاً ، وثقفه فتىً ، وقال عنه : « أنا مدينة العلم
وعليّ بابها » أخرجه الحاكم (١٢٦/٣) ، ثم إن عليّاً قد كرم الله وجهه ، فلم يسجد لغير الله تعالى ،
وما دخل قلبه منذ الطفولة شيء غير الإسلام ، ثم كان هو المجاهد العظيم في سبيل الله ، وما صار
أحدًا إلا صرعه .
وقد علم الصحابة رضى الله عنهم مكانة عليّ عند الرسول صلى الله عليه وسلم .
وأنهم ومعهم المسلمون في كل مكان وزمان ليقولون في كل صلاة : اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد .. وبارك على محمد وعلى آل محمد .
وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عليّ ألا أدلك على خير أخلاق الأولين والآخرين ؟ =

« الخُلج » بضم الخاء واللام ، جمع : خُلوج . بفتح الخاء : السحاب المتفرق . ويُقال : السحابة المتفرّدة الكثيرة الماء .

استعار لأنواع علومه السحائب ، ورشّح هذه الاستعارة ، مبالغة بالخُلج ، أى : يُفزعُ إليه فى مُشكلاتِ العِلْم ؛ لتعليمه إياه ، ، إذ أتى بعلومه الكثيرة التّفن للناس ، فى كلِّ فنٍّ ، وكلِّ ناحية ، كالسحائب المتفرقة النافعة بمائها .

وقام الإجماعُ على غزارةِ عِلْمِهِ ، وما احتجّ به من خبرٍ : « أنا دارُ الحكمة » ، وفى رواية : « مَدِينَةُ العِلْم ، وَعَلِيٌّ بِأُيُوبِهَا » ^(١) .

قال الترمذى : إِنَّهُ مُنْكَر . وَالتَّوْوِيّ : إِنَّهُ بَاطِلٌ .

لكن قالَ الحافظُ أَبُو سَعِيدٍ العَلَّائِي : الصَّوَابُ أَنَّهُ حَسَنٌ ، بِاعْتِبَارِ طَرِيقِهِ ،

= قال : بلى : يارسول الله . قال : تعطى مَنْ حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك . انظر : « مجمع الزوائد » (١٨٩/٨) .

وأوصاه الرسول صلى الله عليه وسلم حين زوجه فاطمة الزهراء ابنته رضى الله عنها ، قال : « يا علي ، لا تغضب ! إذا غضبت فاقعد ، وتذكر قدرة الله تعالى على العباد ، وحلمه عنهم ، وإذا قيل لك : اتق الله ، فاترك غضبك عنك ، وارجع لحلمك » . انظر : « جمع الجوامع » (٢٢٢٦) . وعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم أن : « من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ، ملأه الله إيمانًا وأمنًا ، ومن وضع ثوب جمال ، تواضعًا لله ، وهو يقدر عليه ، كساه الله تعالى حلة الكرامة » . أخرجه أحمد (٤٤٠/٣) .

وعلمه أن : « من استأجر أجيرًا فظلمه ، ولم يوفه أجره ، فأنا خصمه يوم القيامة ، ومن أكن خصمه فأنا أخصمه (أى أغلبه) » . أخرجه البيهقي (١٢٠/٦) .

على هذه التعاليم التى تلقاها منذ نعومة أظفاره ، عاش عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه . واستشهد ليلة الجمعة ، لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين من الهجرة ، عن ثلاث وستين سنة على الصحيح ، واختلف فى موضع دفنه رضى الله عنه .

* * *

(١) رواه الحاكم فى (المستدرک ١٢٦/٣) .

وبه أفتى شيخنا حافظُ عصره : العسقلاني (١) .

ومن كلماته الغرّ . تشعُّ كلماتٍ .. ثلاثٌ في المناجاة ، وهي : كفاني
فخرًا أن تكونَ لى ربًّا . وكفاني عزًّا أن أكونَ لكَّ عبدًا . وأنتَ كما أحبّ .
فاجعلني كما أحبّ .

وثلاث في الحكمة ، وهي : قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسن . وما هلكَ امرؤُ
عرفَ قدرَ نفسه . والمزءُ مخبوءٌ تحتَ لسانه .

وثلاثٌ في الأدب ، وهي : استغنِ عمنَ شئتَ فأنتَ نظيرُه . وتفضلْ
على من شئتَ فأنتَ أميرُه . واضرعْ لمن شئتَ فأنتَ أسيرُه .

فهذه من مفاريدِ كلماته ؛ ليُستدلَّ بها على ما لم نذكرُ منها .

و (باء) « بسخائبه » للمصاحبةِ مثلها في : جاء زَيْدٌ بعلمه ، وبثيابه :
أى ملبسًا سخائبه .

وفضائلُ الأئمةِ الأربعةِ المذكورةِ في محالِّها . وإنما اقتصرْتُ على
ما ذُكر ؛ لكونِ الناظمِ أشارَ إليه .

وفي البيت : التميم ، والإيغال .

وفي نسخة بدل : « الخلج » « البلج » (٢) .

(١) ابن حجر العسقلاني . ولد في مصر القديمة . حجة مشهور في الحديث ، ومؤرخ ، وفقه ،
شافعي المذهب . قام بعدة رحلات في مصر والشام والحجاز ، واليمن طلبًا للعلم فلقب بحافظ عصره ،
كُتِبَ تزييد على ١٥٠ كتابًا ، منها : « الإصابة في تمييز الصحابة » ، و « فتح الباري في شرح صحيح
البخاري » .

(٢) إلى هنا ، وتمت القصيدة مع شرحها .

أما ما جاء بعد ذلك من أبيات فهي زيادات زيدت بعد من القارئين .

وبعد ذلك :

وَصَحَابَتِهِ وَقَرَابَتِهِ وَقِفَاءَ الْأَثَرِ عَلَى نَهْجِ (١)
وَإِذَا بِكَ ضَاقَ الذَّرْعُ فَقُلْ « اَشْتَدَى أَرْمَةٌ تَنْفَرِجِي »
وفى نسخة أخرى بَدَلْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ خَمْسَةَ آيَاتٍ وَهِيَ :

وَهْدَى بَضِيَاءَ الذِّكْرِ وَذَلِ الْقَوْمِ عَلَى أَسْنَى نَهْجِ
وَعَلَى أَتْبَاعِهِمُ الْغُلَمَا بَعَوَارِفِ دِينِهِمُ النَّهْجِ
وَعَلَى السَّبْطَيْنِ وَأُمَّهَمَا وَجَمِيعِ الْآلِ بِهِمْ تَلْجِ
وَعَلَى الْأَصْحَابِ بِجَمَلَتِهِمْ بَدَلُوا الْأَمْوَالَ مَعَ الْمُهْجِ
يَارَبِّ بِهِمْ وَبِآلِهِمْ عَجَّلْ بِالتَّضَرُّرِ وَبِالْفَرَجِ

قال المصنف (٢) رضى الله عنه : « وَأَنَا أُوَسِّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّائِمِ
وَأَمْثَالِهِ أَنْ يَمَنَّ عَلَيَّ وَعَلَى أَحِبَّائِي بِتَوْبَةٍ صَادِقَةٍ وَنِعْمَةٍ صَافِيَةٍ ، وَعَافِيَةٍ
وَإِفِيَةٍ » (٣) .

وقال أيضًا : كان الله له فى الدَّارَيْنِ ، وَبَلَّغْنِي وَالمُسْلِمِينَ بِبِرْكَةِ عُلُومِهِ فِى
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (٣) .

تمَّ الشرح (٤) بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ فِى حَادِي عَشْرِ ذَى الْحِجَّةِ الْحَرَامِ (٥)
سنة إحدى وثمانين وثمان مئة .

(١) فى المطبوع : « على عوج » بدل : « على نهج » .

(٢) يريد الشارح الشيخ زكريا الأنصارى .

(٣ - ٣) فى المخطوط ما بين الرقمين : « وقال أيضًا ... والآخرة » غير موجود .

(٤) فى المخطوط : « قال مؤلفه ، فسح الله مرقدته ونور مضجعه : تم الشرح » .

(٥) فى المخطوط : « شهر الحرم الحرام » بدل : « شهر ذى الحجة الحرام » .

والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه كلما
ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلم تسليمًا كثيرًا .
[يليه نص القصيدة المنفرجة مضبوطة لقراءتها] .

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَصِيدَةُ الْمُنْفَرَجَةِ

- ١ - اشْتَدَى أَرْمَةٌ تَنْفَرَجِي قَدْ آذَنَ لِيْلِكَ بِالْبَلَجِ
- ٢ - وَظِلَامِ اللَّيْلِ لَهُ سُرْحٌ حَتَّى يَغْشَاهُ أَبُو السُّرْحِ
- ٣ - وَسَحَابُ الْخَيْرِ لَهُ مَطَرٌ فَإِذَا جَاءَ الْإِبَّانُ يَجِي
- ٤ - وَفَوَائِدُ مَوْلَانَا جَمَلٌ لِسُرُوحِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهْجِ
- ٥ - وَلَهَا أَرْجٌ مُخَى أَبَدًا فَاقْصِدْ مَحْيَا ذَاكَ الْأَرْجِ
- ٦ - فَلَرَبَّتْمَا فَاضَ الْمَحْيَا بِبُحُورِ الْمَوْجِ مِنَ اللَّجَجِ

* * *

- ٧ - وَالْخَلْقُ جَمِيعًا فِي يَدِهِ فَذُوو سَعَةٍ وَذُوو حَرَجِ
- ٨ - وَنُزُولُهُمْ وَطُلُوعُهُمْ فَعَلَى دَرَكٍ وَعَلَى دَرَجِ
- ٩ - وَمَعَايِشُهُمْ وَعَوَاقِبُهُمْ لَيْسَتْ فِي الْمَشِيِّ عَلَى عَوْجِ
- ١٠ - حِكْمٌ نُسِجَتْ بِيَدِ حَكَمْتِ ثُمَّ انْتَسَجَتْ بِالْمُنْتَسَجِ
- ١١ - فَإِذَا اقْتَصَدَتْ ثُمَّ انْعَرَجَتْ فِيمُقْتَصِدِ وَبِمُنْعَرَجِ

١٢ - شَهِدَتْ بِعَجَائِبِهَا حُجَّجٌ قَامَتْ بِالْأَمْرِ عَلَى الْحِجَجِ

* * *

١٣ - وَرَضًا بِقِضَاءِ اللَّهِ حَجًّا فَعَلَى مَزْكُورَتِهِ فَعُجِ

١٤ - وَإِذَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ هُدًى فَاغْبَلْ لِحَزَائِنِهَا وَلِجِ

١٥ - وَإِذَا حَاوَلْتَ نَهَايَتَهَا فَاخْذِرْ إِذْ ذَاكَ مِنَ الْعَرَجِ

١٦ - لِتَكُونَ مِنَ السَّبَاقِ إِذَا مَا جِئْتَ إِلَى تِلْكَ الْفُرَجِ

١٧ - فَهُنَاكَ الْعَيْشُ وَبِهَجْتِهِ فَلُمِبْتَهَجٍ وَلِمُنْتَهَجِ

١٨ - فَهَجِ الْأَعْمَالَ إِذَا رَكَدَتْ فَإِذَا مَا هِجْتَ إِذَا تَهَجِ

* * *

١٩ - وَمَعَاصِي اللَّهِ سَمَاجَتِهَا تَزْدَانُ لِذِي الْخُلُقِ السَّمِجِ

٢٠ - وَلِطَاعَتِهِ وَصَبَاحَتِهَا أَنْوَارُ صَبَاحِ مُنْبِلِجِ^(١)

٢١ - مَنْ يَخْطُبُ حُورَ الْخُلْدِ بِهَا يَظْفَرُ بِالْحُورِ وَبِالْعُنْجِ

٢٢ - فَكُنِ الْمَرْضَى لَهَا بِتَقَى تَرْضَاهُ غَدًا وَتَكُونُ^(٢) نَجَى

* * *

٢٣ - وَاتْلُ الْقُرْآنَ بِقَلْبِ ذِي حَزَنِ وَبِصَوْتِ فِيهِ شَجَى

٢٤ - وَصَلَاةَ اللَّيْلِ مَسَافَتِهَا فَادْهَبْ فِيهَا بِالْفَهْمِ وَجَى

(١) فى المخطوط : « مبتلج » بدل : « منبلج » ، والتصويب عن الشارح .

(٢) فى المخطوط : « فتكون » بدل : « وتكون » ، والتصويب عن الشارح .

- ٢٥ - وتأملها ومعانيها تأت الفردوس وتنفرج
 ٢٦ - واشرب تسنيم مفجرها لا مُمتزجا وبمُمتزج

* * *

- ٢٧ - مُدح العقل الآتيه هدى وهوى مُتول عنه هجى
 ٢٨ - وكتاب الله رياضته لعقول الخلق بمُندرج
 ٢٩ - وخيار الخلق هدايتهم وسواهم من همج الهمج
 ٣٠ - وإذا كنت المقدام فلا تجزع في الحزب من الرهج
 ٣١ - وإذا أبصرت منار هدى فاطهر فردا فوق الشبج
 ٣٢ - وإذا اشتاقت نفس وحدث ألما بالشوق المُعتلج
 ٣٣ - وثنايا الحسننا ضاحكة وتمام الضحك على الفلج
 ٣٤ - وعيب الأسرار قد اجتمعت بأمانتها تحت الشرج
 ٣٥ - والرفق يدوم لصاحبه والخرق يصير إلى الهرج^(١)
 ٣٦ - صلوات الله على المهدي الهادي الناس إلى النهج
 ٣٧ - وأبي بكر في سيرته ولسان مقالته اللهج
 ٣٨ - وأبي حفص وكرامته في قصة سارية الخلج
 ٣٩ - وأبي عمرو ذي الثورين المُستخعي المُستخيا البهج

* * *

(١) في المخطوط : « إلى الهزج » بدل : « إلى الهرج » ، والتصويب عن الشرح .

٤٠ - وأبى حسنٍ فى العلمِ إذا وافى بسحائبه الخُلج

* * *

تمت القصيدة المباركة

وصحابته وقرابته وقفاة الأثر على نهج
وعلى ثباعتهم العلماء بعوارف دينهم البهج
وعلى السبطين وأمهما وجميع آل بهم تلج

* * *

قصة المنهج

شعر

حجة الاسلام أبي حامد الغزالي
(٤٥٠ - ٥٠٥ هـ)

تحقيق

الدكتور جمال الدين شوقي
عميد كلية الهندسة بجامعة قطر

دراسة.. وتقديم

الدكتور عبد المجيد ويب



حجة الإسلام أبو حامد الغزالي

علمٌ من أعلام الفكر الإنساني ، هذا العلم عرفه المسلمون وغير المسلمين في الشرق والغرب عامّةً ، فهو أكبر وأشهر من أن تُعرّف به وترجم له ، لكننا نذكر بمولده ووفاته (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) = (١٠٥٨ - ١١١١ م) .
ومنذ أوائل القرن السادس الهجري أخذ الباحثون في مشارق الأرض ومغاربها يتدارسونه ، وينقلون عنه ، ويحتجون به إلى يومنا هذا .
ولم يقف أثره عند الشرق ، بل امتد إلى الغرب ، فأخذوا منه ، وعنه ، وترجم الكثير من كتبه إلى مختلف لغات العالم .

فلو أردنا أن نشير إليه بلقب فماذا نحن قائلون ؟ أنسميه صوفيًا ؟ أم فيلسوفًا ؟ أم فقيهاً ؟ أم متكلمًا ؟ إنَّ كلَّ تسمية من هذه التسميات قد تسيء إلى الغزالي إذا أطلقت عليه ! أو تنقصه بعض حقه على الأقل !

ولقد كان من التوفيق إلى حدٍّ بعيد أن يلقب الغزالي بـ « حجة الإسلام » لأنه ممن تعرّضوا للفقه ، وللکلام ، وللتصوّف ، وللفلسفة . ولم يكن في خياله ولا في منهاجه إلاّ الدفاع عن الإسلام ، بفكرٍ نيرٍ ومنطقيٍّ مستقيم ، يقوم على الكتاب والسنة ، ومن أجل هذا كانت تسميته بـ « حجة الإسلام » تسميةً موفّقةً ، صحيحةً ، ودالّةً ، ودقيقةً ، في وقتٍ واحد ، وكان همّه أن يساهم في تحسين حال الناس ، فكان يحب الفضيلة ويحبُّ مجتمعه أن يكون أفضلًا ، ويهدف إلى الكمال الإنسانيّ ، الذي غايته سعادة الدنيا والآخرة ؛ فأراد لذلك أن يعلم الناس حتى يبلغهم الأهداف التي جعلها غايته ومقصده في كتابه « إحياء علوم الدين » .

وهو من ناحية أخرى أحد أقطاب التصوّف ، والمجاهدة الروحية ،
ورجال التربية والدعوة إلى الله تعالى .

فهو رجل علم ، وعمل ، ودعوة ، وإصلاح ، وهو أحد (الربانيين)
الذين عَلِمُوا وَعَمِلُوا وَعَلَّمُوا .

وشخصيّة متعدّدة الجوانب كشخصية الغزالي لم يغب عنها حبّ الشعر ،
ولم يعزب عنها حسن تذوقه والتعبير به عن أفكاره ، وخواطره ، وهو اجس
نفسه بطريق الشعر .. وقصيدته « المنفرجة » (١) .

قام بتحقيقها الدكتور جلال شوقي (٢) معتمداً على نسختين خطيتين
توفرتا له هما :

١ - مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣١٩٨ (٣) الرسالة الثالثة .
ويرجع المفهرس هذه النسخة الخطية للقرن ١١ هـ القرن ١٧ م .

٢ - مخطوطة دار الكتب القطرية بالدوحة رقم ٣٦٣ (٧) .
ويرمز لمخطوطة باريس بالحرف (ب) .

ولمخطوطة دار الكتب القطرية بالرمز (د) .

الدكتور عبد المجيد ويب

(١) راجع كتاب « مؤلفات الغزالي » للدكتور عبد الرحمن بدوي . الطبعة الثانية - الكويت
سنة ١٩٧٧ م صفحة ٢٩٦ . ففيه أكثر من ست عشرة مخطوطة لهذه القصيدة مفرقة في أنحاء
العالم ، أكثرها في دار الكتب المصرية ومكتبة الأزهر .

(٢) الأستاذ الدكتور جلال شوقي . عميد كلية الهندسة بجامعة قطر .
والقصيدة في بحث عنوانه : « الشعر في تراث الغزالي » ضمن كتاب « الإمام الغزالي . الذكرى
المئوية التاسعة لوفاته ، بحوث ومقالات بأقلام نخبة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة » . جامعة قطر
١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦ م .

المصوّرات

عند راضطبارا وشكوي عنده قاتلتي فهل يا حبيبي هذا امر وسما

سه اذا المخرج رزق خلاصا من الذي

فله المال مكتسوبا ولو الحمد باقيا

ان الذي من تركه القبيح به وتعالى عليه يا مولاي لا خصم د واما بالرضى اهل الكمال
كل الناس احسان واهل تصيب المنفرة بسطه الرحمن الرحيم

الشدة فاودت بالمخرج يارب فبعل بالفرج والانفصاحت ٢٢٢

لا تترك لفعل النور
دهن المحض سبرج
بذات الشعر
اسما

وبيدك تفريج الحرج هاجت لدعاك خواطرها

فالويل لها ان لم تخرج يامن عودت اللطف اعد

غاد انك بالهطف البهيج واغلق ذا الضيق وشدة

بفتح قيل اربع لا يطع فيهن وافتح ما سب من الفرح

الطال القدر بالتميز وطلبه والانفس ذراوج الوهج

الرزق بالحيلة ومعاشرة يا نسا الحمد واجتماع الناس

على جنب رجل واحد وتبل او المضطر سواك شج

الموسى بن اربع عدو يحسنه عن بابك حتى لم تزل

وما فو يبعصه وكان يجاهد اجبت له ما منك رج

وشيطان يقبضه وتبل مكتوب على سرادق العرش

فدضاق للبل عن الوج له راحة في الدنيا اول

سورة ما بين مكرب وشج من الناس وله زاد لقصا

والاعين غارت في كحج الد تعالى وله شفاعت في الموت

عزير غانصة

ولا يا كل له حذرها ما ولا يقبل له حذره

الصفحة الأولى من قصيدة المنفرجة للغزالي (مخطوط

دار الكتب القطرية بالدوحة - رقم : ٣٦٣ (٧) ،

الرسالة السابعة ضمن مجموع ، صفحة ٦٦/ب)

الدين غريزيه باج فعليهم صل الرب على عمر الايام مع الحج

مامال الممال وعاز الحاله وسار السار في الدلج يارب بهم وبها

يجل بالنصر وبالفرج واجعل ذكرا الاخلاص لنا محي قلبا يا اذا

واختم عمالي بنحواتها لاكون غدا في المشرخ

تخصيس تمام الساعه

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يا من له كل العوالم تخضع يا من يثبت العنق من يريح

يا من ارجو النجات واطمئنه يا من يري ما في الضمير ويسمع

انت المعد لكل ما ينتوقه

يا راحم النفوس وسائر فعلها يا واصل الرحم وجامع ثملها

يا مانع ذاتي مواسم وصلها يا من يرحى للشر ايد كالمها

يا من ابد المشكل والمنزع

يا رب فاعف عن مجيبي كم يحين يا مني ان لم تكن لي من يكن

يا رب وجهي عن السؤال صن يا من خرابين رزقه في قوله كن

البح فان الخير عندك اجتمع

تم

التعرج

نا على رضى الله عنه

احد الثياب اذا اكتسبت فانها

زين الرجال بها تفوتكهم

وروع التواضع في الشياخه

فانه يعلم ما يحسن وتكتم

عند الاله وانت عند محرم

وبها توبك لا يهترو بعد ان

تخشي الاله وتبقي ما يحرم

الصفحة الرابعة والأخيرة من قصيدة المنفرجة للغزالي (مخطوط
دار الكتب القطرية بالدوحة - رقم ٣٦٣ (٧) ، صفحة ١/٦٨)

قصيدة المنفخجة

شعر

حجة الاسلام أبي حامد الغزالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[وصف الشدائد ، والكروب ، والمخن ، وطلب الفرج والعفو ،
والتجاة من الله والإحاح في الطلب]

- ١ - الشدة أودت بالمهج يارب فَعَجَّلْ بالفرج
- ٢ - والأنفُس أضحت في حرج وبيدك تَفْرِيجُ الحرج
- ٣ - هاجت لدعاك حواطينا والويل لها إن لم تهج
- ٤ - يا من عودت اللطف أعد عادتك^(١) باللطف البهج
- ٥ - وأغلق ذا الضيق وشدته وأفتح ما سد من الفرج
- ٦ - عجننا^(٢) لجنايبك نَقِصْدُهُ والأنفُس في أوج الوهج
- ٧ - وإلى أفضالك يا أملي يا ضيعتنا إن لم نَعِجْ^(٣)
- ٨ - من للمهوف سواك يغث أو للمضطرب سواك نَجِي^(٣)
- ٩ - وإساءتنا لن تقطعنا^(٤) عن بابك حتى لم تلج
- ١٠ - فلکم عاصِ أخطأ ورجا لك ابحت له ما منك رجي^(٥)
- ١١ - يا سيّدنا يا خالقنا قد ضاق الحبل على^(٦) الودج^(٧)

(١) عج يعج بمعنى رفع صوته .

(٢) في (د) : « أن » .

(٣) في (د) : « عن » .

(١) في (ب) : « عداتك » .

(٢) في (د) : « نج » .

(٥) في (د) : « رج » .

(٧) عرق في العنق .

- ١٢ - وَعِبَادُكَ أَضْحَوْا فِي أَلَمٍ
 ١٣ - وَالْأَحْشَاءُ صَارَتْ فِي حَرَقٍ
 ١٤ - فَالْأَعْيُنُ صَارَتْ فِي لُجْجٍ
 ١٥ - وَالْأُزْمَةُ زَادَتْ شِدَّتْهَا
 ١٦ - جِئْنَاكَ بِقَلْبٍ مُنْكَسِرٍ
 ١٧ - وَيَخَوْفِ الزَّلَّةِ (٨) فِي وَجَلٍ
 ١٨ - فَكَمْ اسْتَشَقَى مَرْكُومُ الذَّنْبِ
 ١٩ - وَبِعَيْنِكَ مَا تَلْقَاهُ وَمَا
 ٢٠ - وَالْفُضْلُ أَتَمِّمٌ - وَلَكِنْ قَدْ -
- مَا بَيْنَ مُكَيَّرٍ (١) وَشَجِي (٢)
 وَالْأَعْيُنُ تَمَارَتْ (٣) فِي لُجْجٍ (٤)
 غَاصَتْ فِي الْمَوْجِ مَعَ الْمُهْجِ (٥)
 يَا أُزْمَةُ عَلَّكَ تَنْفَرَجُ (٦)
 وَلِسَانٍ بِالشُّكْوَى لَهْجٍ (٧)
 لَكِنْ بِرَجَائِكَ مُمْتَزَجٍ
 بِنَشْرِ الرَّحْمَةِ وَالْأَرْجِ (٩)
 فِيهِ الْأَحْوَالُ مِنَ الْمَرْجِي (١٠)
 قُلْتُ ادْعُونِي فَلَنْبْتَهَجِ

* * *

[الْقَسَمُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الْأُمُورِ]

- ٢١ - فَبِكُلِّ نَبِيٍّ نَسَأَلُ يَا
 ٢٢ - وَبِفَضْلِ الذُّكْرِ وَحِكْمَتِهِ
 ٢٣ - وَبِسِرِّ الْأَحْرَفِ إِذْ وَرَدَتْ
 ٢٤ - وَبِسِرِّ أُوْدِغٍ فِي بَطْدٍ
- رَبِّ الْأَرْبَابِ وَكُلِّ نَجِي (١١)
 وَبِمَا قَدْ أَوْضَحَ مِنْ نَهْجٍ
 بِضِيَاءِ النُّورِ الْمُنْبَلَجِ
 وَبِمَا فِي وَاحٍ مَعَ زَهَجٍ (١٢)

- (١) مهموم . مغموم .
 (٢) بمعنى حزين .
 (٣) بمعنى تموج موجًا .
 (٤) اللجج : معظم الماء أو معظم البحر .
 (٥) في (ب) : « المهجي » الأرواح .
 (٦) في (ب) : « تنفرجي » .
 (٧) لهج يلهج . واللهج بالشئء : الولوع به .
 (٨) في (د) : « الزل » .
 (٩) توهج ريح الطيب .
 (١٠) في (د) : « المزج » .
 (١١) في (د) : « نج » ، أى كل من ينجو .
 (١٢) بطد ، زهج ، واح : كلمات من كلمات الأوفاق تشغل خانات الوفق الثلث (المربع السحري ذى الخانات التسع) .

- ٢٥ - وَيَسِّرُ الْبَاءَ وَنُقِطَتِهَا مِنْ بِسْمِ اللَّهِ لِيَذِيَ النَّهَجِ
 ٢٦ - وَيَقَافِ الْقَهْرَ وَقَوَّتِهَا وَيَقْهَرِ الْقَاهِرَ لِلْمُهَجِ (١)
 ٢٧ - وَيَبْرِدُ الْمَا وَإِسَاعَتِهِ وَعُمُومِ النَّفْعِ مَعَ الثَّلَجِ (٢)
 ٢٨ - وَيَحْرُ (٣) النَّارَ وَحَدَّتِهَا وَيَسِّرُ الْحُرْقَةَ وَالنُّضَجَ
 ٢٩ - وَيَمَا طَعِمَتْ مِنَ التَّطْعِيمِ وَمَا ضَرَحَتْ مِنَ الضَّرَجِ (٤)

* * *

[دعاء وابتهاال]

- ٣٠ - يَا قَاهِرَ يَا ذِي (٥) الشَّدَّةِ يَا ذِي الْبَطْشِ أَعِثْ يَا ذَا الْحُجَجِ
 ٣١ - يَا رَبِّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَمُصِيبَتْنَا مِنْ حَيْثُ نَجِ (٦)
 ٣٢ - يَا رَبِّ خُلِقْنَا مِنْ عَجَلٍ فَلِهَذَا نَدْعُوا بِاللُّجَجِ (٧)
 ٣٣ - يَا رَبِّ وَلَيْسَ لَنَا جَلْدٌ أَنْتَى (٨) وَالْقَلْبُ عَلَى وَهَجٍ
 ٣٤ - يَا رَبِّ عَيْدِكَ قَدْ وَقَدُوا يَدْعُوكَ بِقَلْبٍ مُنْزَعِجٍ
 ٣٥ - يَا رَبِّ ضِعَافٌ لَيْسَ لَهُمْ أَحَدٌ يَزُجِحُونَ لِيَذِيَ الْهَزِجِ
 ٣٦ - يَا رَبِّ فَصَّاحُ الْأَلْسُنِ قَدْ أَضْحُوا فِي الشَّدَّةِ كَالْهَمَجِ (٩)
 ٣٧ - السَّابِقُ مَنَا صَارَ إِذَا يَعْدُوا يَسْبِقُهُ ذُو الْعَرَجِ
 ٣٨ - وَحِكْمَةُ (١٠) رَبِّي بِالِغَةِ جَلَّتْ عَن حَيْفِي (١١) أَوْ عَوْجِ

(١) الشطر الثاني ناقص في (د) .

(٢) هذا البيت ناقص بأكمله في النسخة (د) . (٣) في (د) : « وبشر » .

(٤) في (ب) : « وبما طعمت من التطعيم » . الضرج : الشق .

(٥) في (د) : « يا ذا » . (٦) في (ب) : « نجى » .

(٧) اللُّجَج : معظم الماء أو معظم البحر . (٨) في (د) : « أتا » .

(٩) في (د) : « كالمهج » . (١٠) في (ب) : « والحكمة » .

(١١) الحيف : الحور والظلم .

- ٣٩ - وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ تُدَبِّرُهُ فَأَعِثْنَا بِاللُّطْفِ الْبَهْجِ
٤٠ - وَادْرُجْ فِي الْعَفْوِ إِسَاءَتَنَا وَالْخَيْبَةَ إِنْ لَمْ تَنْدِرْجْ

* * *

[حَدِيثُ لَوْمِ وَعِتَابِ وَنُصْحِ لِلنَّفْسِ]

- ٤١ - يَا نَفْسُ وَمَا لَكَ مِنْ فَرْجٍ إِلَّا مَوْلَاكَ لَهُ فَعَجِ
٤٢ - وَبِهِ فَلْيُذِي وَبِهِ فُوزِي وَبَابٌ مَكَارِمُهُ فَلَجِي^(١)
٤٣ - كَيْ تَنْصَلِحِي كَيْ تَنْشَرِحِي كَيْ تَنْبَسِطِي كَيْ تَبْتَهِّجِ
٤٤ - وَيَطِيبُ مَقَامِكَ مَعَ نَفَرٍ أَضْحَوِ فِي الْحِنْدِسِ^(٢) كَالشَّرْحِ^(٣)
٤٥ - وَفُؤَا لِلَّهِ بِمَا عَهَدُوا فِي بَيْعِ الْأَنْفُسِ وَالْمُهَاجِ

* * *

[دَعْوَةٌ لِلْاِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ الْهَادِي وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ]

- ٤٦ - وَهُمْ^(٤) الْهَادِي وَصَحَابَتُهُ ذُو^(٥) الرِّثْبَةِ وَالْعِطْرِ الْأَرْجِ
٤٧ - وَعَلَى الصَّدِيقِ خَلِيفَتِهِ وَكَذَا الْفَارُوقِ وَكُلِّ نَجٍ^(٦)
٤٨ - وَعَلَى عُثْمَانَ شَهِيدِ الدَّارِ أَبِي^(٧) الْعِرْفَانَ عَلَى الدَّرَجِ
٤٩ - وَأَبِي^(٨) الْحَسَنِ مَعَ الْأَوْلَادِ كَذَا الْأَزْوَاجِ وَكُلِّ شَجٍ^(٩)
٥٠ - قَوْمٌ سَكَنُوا الْجَزْعَاءَ^(١٠) وَهُمْ شَرَفُوا الْجَزْعَاءَ وَمُنْعَرَجِ

(١) في (د) : « وبه فعزى وبه فلذى وليباب مكارمه فلجى »

(٢) الليل شديد الظلمة حالكمها . (٣) الشرح بالتحريك : عزوى العيبة .

(٤) في (د) : « فهم » . (٥) في (د) : « زى » .

(٦) الأبيات : ٤٧ - ٤٩ ناقصة في مخطوطة باريس .

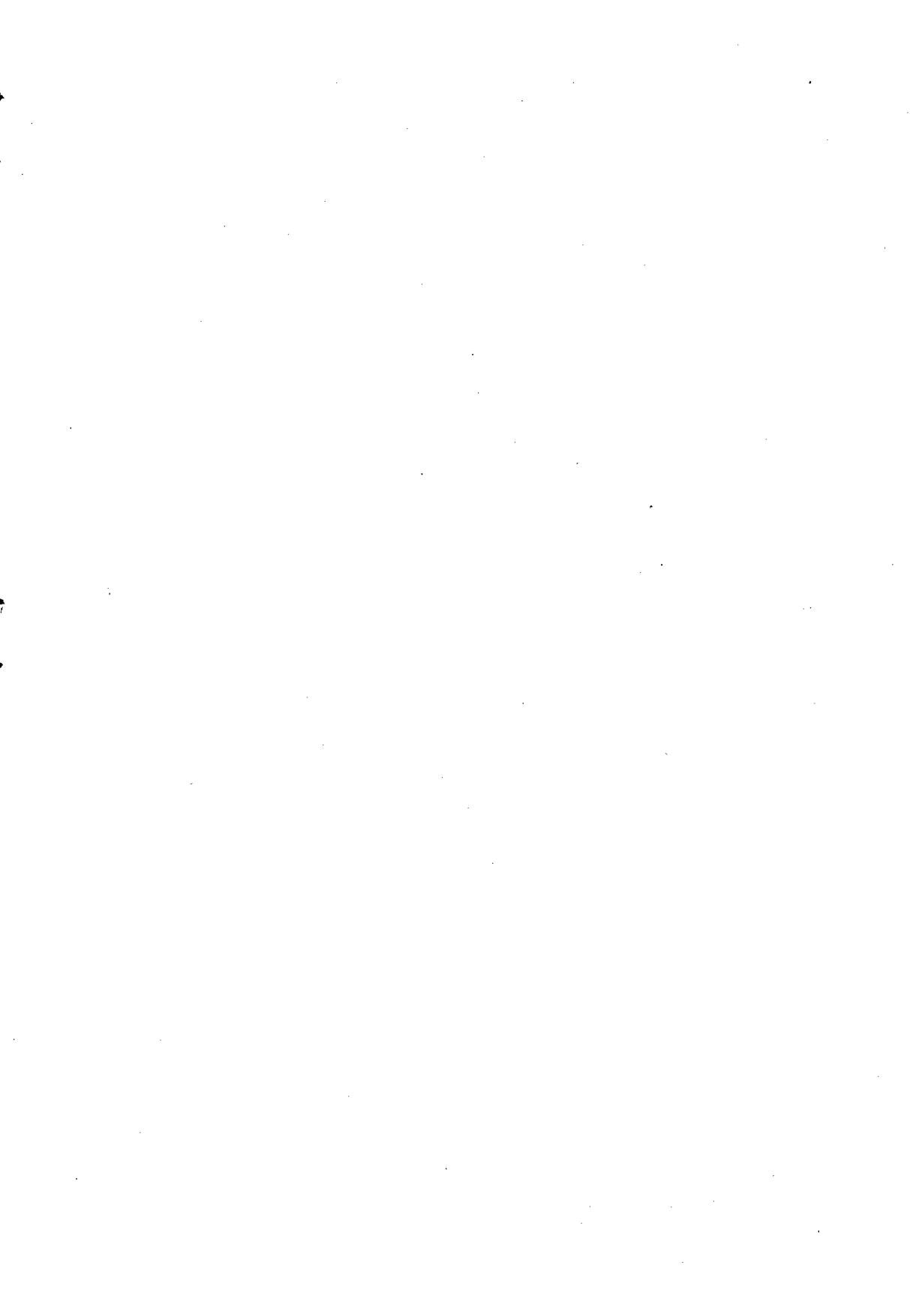
(٧) في (د) : « أبا » . (٨) في (د) : « أبو » .

(٩) بمعنى حزين . (١٠) الرملة المستوية التي لا تنبت شيئاً .

- ٥١ - جَاءُوا لِلْكَوْنِ وَظَلَمْتُهُ عَمَّتْ وَظَلَامُ الشَّرِكِ دَجَى (١)
- ٥٢ - مَا زَالَ النَّصْرُ يَحْفُهُم وَالظُّلْمَةُ تُمَحَى بِالْبَلَجِ (٢)
- ٥٣ - حَتَّى نَصَرُوا الْإِسْلَامَ وَعَا دَ (٣) الدِّينِ عَزِيزًا فِي بَهَجِ
- ٥٤ - فَعَلَيْهِمْ صَلَّى الرَّبُّ عَلَى مَرٍّ (٤) الْأَيَّامِ مَعَ الْحَجَجِ
- ٥٥ - مَا مَالَ الْمَالُ وَحَالَ الْحَا لُ (٥) وَسَارَ السَّارِي فِي الدَّلَجِ (٦)

* * *

- (١) شديد الظلمة .
- (٢) في (د) : « وعاد » في الشطر الأول .
- (٣) في (د) : « ممر » .
- (٤) في (د) : « مسيرة من أول الليل » .
- (٥) في (د) : « الحال » في الشطر الأول .
- (٦) الإشراق والإضاءة .



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
٧	المنفرجة الأولى لابن النحوى
٩	يوسف بن محمد بن يوسف التوزرى
١٣	قصيدة المنفرجة للتوزرى
١٧	شيخ الإسلام زكريا الأنصارى
٢٧	توصيف المخطوطة
٣٠	توصيف المطبوع
٣١	المصورات
٣٧	التص
٣٩	مقدمة الشارح
١٣٩	القصيدة المنفرجة
١٤٣	المنفرجة الثانية للإمام الغزالى
١٤٥	حجة الإسلام أبو حامد الغزالى
١٤٧	المصورات
١٥١	قصيدة المنفرجة
١٥٧	فهرس الكتاب

* * *

صَدْرُ الْمُحَقِّقِ كُتُبٌ مَدْرُوسَةٌ وَمُحَقَّقَةٌ

- ١ - إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : لعبد الباقي اليماني (مجلد . طبع في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض سنة ١٩٨٦ م) .
- ٢ - شرح ديوان المتنبي : لأبي العلاء المعري . « معجز أحمد » (٤ مجلدات . سلسلة ذخائر العرب رقم « ٦٥ » دار المعارف بمصر) .
- ٣ - ربيع الأبرار : للزمخشري (٥ مجلدات . نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب . مركز تحقيق التراث) .
- ٤ - الأدب في الدين : المنسوب إلى الغزالي (كتاب اليوم - العدد ٣٠٧ - أبريل سنة ١٩٩٠ م) .
- ٥ - رسالة في علم الموسيقى : للصفدي . بالاشتراك (الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩١ م) .
- ٦ - دفع مضار الأيدان عن أرض مصر : لعليّ بن رضوان . الطبيب المصرى (نشر مكتبة ابن قتيبة - الكويت سنة ١٩٩٤ م) .
- ٧ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء : لجمال الدين القفطى (٢ مجلد . نشر مكتبة ابن قتيبة - الكويت سنة ١٩٩٨ م) .
- ٨ - تاريخ الأقباط : المعروف بـ « القول الإبريزى » للعلامة المقرئى (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٧ م) .
- ٩ - تاريخ اليهود : من خطط المقرئى (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٧ م) .
- ١٠ - نحل عبر النحل : للمقرئى (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٧ م) .
- ١١ - الأجناس من كلام العرب ، وما اشبهه في اللفظ واختلف في المعنى المنسوب : لأبى عبيد القاسم بن سلام (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٨ م) .
- ١٢ - الحث على طلب العلم ، والاجتهاد في جمعه : لأبى هلال العسكري (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٨ م) .
- ١٣ - مبادئ اللغة مع شرح أبيات مبادئ اللغة : للخطيب الإسكافى (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٩ م) .
- ١٤ - المنفرجتان : لابن النحوى والإمام الغزالي (نشر دار الفضيلة - مصر سنة ١٩٩٩ م) .

* * *

كتب مؤلفة

- ١ - تحقيق التراث العربى : منهجه وتطوره (الطبعة الثانية - دار المعارف
سنة ١٩٩٣ م) .
- ٢ - أبو الطيب المتنبى : (سلسلة أعلام العرب - العدد ١١١) .
- ٣ - أبو العلاء المعرى . الزاهد المفترى عليه : (المكتبة الثقافية -
العدد ٤٠٥) .
- ٤ - خلاصة المتنبى . شرح ودراسة : (نشر دار سعاد الصباح - القاهرة
سنة ١٩٩٢ م) .

* * *

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٦٠٦١ / ٩٩ م

دار النشر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاط شبرا القمامرة
الرقم البريدي - ١١٢٣١